التنوع البيبليوغرافي

BIBLIODIVERSITY

بيان في النشر المستقل

سوزان هاوثورن | ترجمة: بلال زعيتر

التنوّع البيبليوغرافي

بيان في النشر المستقل

التنوّع البيبليوغرافي ـ بيان في النشر المستقل

سوزان هاوثورن

ترجمة: بلال زعيتر

الإخراج الفني: فايز علام

تصميم الغلاف: مناف عزام

الطبعة الأولى: 2016

جميع الحقوق محفوظة للناشرين ©

نشر هذا الكتاب بدعم من الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، وهو مشروع نشر مشترك بين: دار محمد علي ـ تونس، دار الفارابي ـ لبنان، دار العين ـ مصر، دار أطلس للنشر ـ سوريا ولبنان، مؤسسة الانتشار العربي ـ لبنان.

يحمل هذا الكتاب شعار «التجارة الحرة للكتب Fiar Trade Book» تعبيراً عن تضامن الناشرين الأعضاء.

http://www.alliance-editeurs.org/the-fair-trade-book?lang=en

سوزان هاوثورن

التنوّع البيبليوغرافي

بيان في النشر المستقل

ترجمة: بلال زعيتر

الناشرون:

مؤسسة الانتشار العربي
شارع سليم سلام ـ بناء سوق الروشة،
ط3، بيروت، لبنان.
ص.ب: 5752 / 113
هاتف: 659148 1 961+
فاكس: 659150 1 961+
بريد إلكتروني:
arabdiffusion@hotmail.com
ISBN: 978-614-404-820-7

أطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي ش.م.م
شارع الحمرا ـ بناء رسامني
ص.ب: 6435 / 113
هاتف: 886423 3 961+
فاكس: 750053 1 961+
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com
ISBN: 978-9953-583-68-6

دار العين للنشر
4 ممر بهلر ـ قصر النيل ـ القاهرة
هاتف: 23962475 2 20+
فاكس: 23962476 2 20+
بريد إلكتروني:
elainpublishing@gmail.com
ISBN: 978-977-490-355-7

دار الفارابي
بيروت، لبنان.
ص.ب: 3181 / 11
هاتف: 301461 1 961+
فاكس: 307775 1 961+
بريد إلكتروني:
info@dar-alfarabi.com
الموقع الإلكتروني:
www.dar-alfarabi.com
ISBN: 978-614-432-524-7

دار محمد علي للنشر
نهج محمد الشعبوني ـ عمارة زرقاء اليمامة عدد 11، تونس.
هاتف: 74407440 216+
فاكس: 74407441 216+
بريد إلكتروني:
edition.medali@tunet.tn
الموقع الإلكتروني:
www.edition-medali.com
ISBN: 978-9973-33-457-2

المحتويات

كلمة المترجم _____ 9

مقدمة _____ 15

1. تنوّع النشر _____ 21

ما هو؟ من اخترع هذا المصطلح؟ التشابه مع التنوّع الحيوي والبيئي. عكس العولمة. النشر النسوي. التعددية الثقافية. حقوق التأليف.

2. قياس واحد للجميع _____ 38

كيف يُستَخدَم القمع لخلق مجموعة متجانسة تماماً وتابعة. العنصرية. كراهية النساء. القمع اللغوي. التسويق.

3. التُّربَة _____ 46

الشخصي سياسي.

4. التعددية _____ 49

ما هي؟ سياسات المعرفة. الاستحواذ.

5. الإنتاج _____ 55

حدود الخلق والإنتاج. الدفع/الدعم البيئي.

6. الحركات النسوية _____ 61

التهميش النظري. تأثير فقر النساء.

7. مشاهد التعري _____ 65

صورة اجتماعية نمطية للنساء، من المستفيد؟ مأسسة الكراهية.

8. تجارة حرة وتعبير حر _____ 68

الخيار. من هم المدافعون عن حرية التعبير؟

9. تجارة عادلة وتعبير عادل _____ 73

ما هو التعبير العادل؟ كم هو مختلف عن التعبير الحر؟ القوة وعدالة المُخرَجات بدلاً من عدالة الفرص. مشاهد التعري. اتفاقية الورق المنبثقة عن مجلس الغابات.

10. إعادة الاستعمار _____ 84

الكتب الإلكترونية، النشر الرقمي كأداة لإعادة الاستعمار.

11. تنوّع النشر الرقمي _____ 93

شبكات التواصل، تمركز النشر. Booki.sh النَضِر.

12. النشر العضوي _____ 100

بيئة النشر. استدامة الثقافة. اللغات، العولمة، والثقافة المحددة المعالم.

13. مبادئ تنوع النشر: نماذج وعمليات _____106

الشبكات. أنظمة التعشيش. الدوائر. التدفقات. التنمية. التوازن الديناميكي.

14. تنوّع النشر في القرن الحادي والعشرين _____110

شكر وتقدير _____115

المؤلفة _____119

المراجع _____123

كلمة المترجم

تُقدّم سوزان هاوثورن بشجاعة في هذا الكتاب استعراضاً وافياً لمفهوم تنوّع النشر وانعكاسات ذلك على التنوّع الثقافي. وفي فصول هذا المنشور الثقافي الثوري يمكننا قراءة سُبُل وإيجابيات التنوّع في مواجهة خطر سيطرة لون واحد من النشر تُمليه المؤسسات العملاقة. تعتَبِر المؤلفة أنها عملية مشتركة تتضافر فيها كل الجهود، وبضمن ذلك خيار القارئ الواعي بتبني مفهوم تنوّع النشر وترويجه.

تُركّز المؤلفة على أهمية إسماع أصوات المهمشين، ومن بينهم النساء والمجتمعات التي خضعت طويلاً لسيطرة النفوذ الاستعماري بما يحمله من تذويب للثقافات المحلية. على هذا يبدو نشر هذا الكتاب باللغة العربية على توافق مع آليات التعبير المختلفة التي انبثقت عن الربيع العربي. وربما يساعد هذا الكتاب أيضاً على اقتراح توصيف من نوع «ربيع جنوب المتوسط» لاستيعاب كل المكونات الإثنية التي ساهمت فعلاً في خلق مثل هذا الربيع، كالأكراد، والشركس، والبربر، والأرمن، وغيرهم كثيرين.

الكتاب يتيح فرصة للتعرف إلى بعض المفاهيم الأساسية

لمستقبل المنطقة العربية في ضوء انفتاح حريات التعبير التي واكبت الربيع العربي، مثل: عدالة التعبير، كمصطلح متقدم على حرية التعبير، قضايا المرأة والحركات النسوية، استحواذ المفاهيم، تذويب الهويات، والتعاون سبيلاً لمواجهة كل تلك التحديات.

قارئاً استمتعت بهذا الكتاب، فبين ضفّتَيه معلومات غزيرة وكثيفة هي محصول أكثر من ثلاثة عقود من الخبرة قدّمتها سوزان بكرم ناشىء ربما في بعضه من ترعرعها في أحضان الطبيعة الأسترالية.

ومترجماً، أستطيع الآن وقد أتممت عملي، أن أعترف بأنها كانت مهمة صعبة. هناك الكثير من المصطلحات التي إما أنه لا يوجد لها مقابل في اللغة العربية، أو أن بعضها مترجم سابقاً لكن بمعنى لا يفي المصطلح في لغته الأصلية حقّه. حاولت جاهداً تقديم قراءتي للنص. لم أستبعد شيئاً حتى حين كان يبدو مستحيلاً تقديم معنىً وافٍ مقابل باللغة العربية. آثرتُ الأمانة على السلاسة. هذا لا يعني أن النص ما عاد سائغاً، لكني، كما تشرح سوزان في هذا الكتاب، اخترتُ عدم الخنوع للتسطيح نزولاً عند قمع اللغة السائدة. المسألة الأخلاقية هنا كانت في عدم إنتاج معانٍ عائمة باستسهال اللغة الدارجة، لكن بالمقابل أيضاً عدم استخدام لغة مُغرِقة تجعل من السباحة في هذا النص الهامّ صعوبة بالغة.

يجدر بي أيضاً أن أؤكد أن هذا نصّ اختصاصيّ للمهتمين

والعاملين في مجال النشر والثقافة، لكنه أيضاً نصٌّ مثير لكل من يرغب في تحدي المفاهيم السائدة والثقافات المُعلَبَة، والنقاشات الأحادية التوجه. شخصياً، لقد تعلّمتُ كثيراً في هذه الرحلة مواجهة قناعات تأطيرية وراسخة.

الشكر طبعاً لسوزان صاحبة النص الأصلي، وللعاملين في الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين في باريس، وخصوصاً لورانس هوغوس.

هذا كتاب تحتاج إليه المكتبة العربية لتنمو، والمجتمعات العربية لتسترجع شيئاً من هويتها التي كانت منفتحة في ما مضى، ليعود لجمال الاختلاف مكانته في ثقافتنا. بقراءتك له الآن يكون قد أثمرَ مرة أخرى في رحلته منذ أن كان بذرة فكرة بداخل سوزان قبل سنين.

بلال زعيتر
مرسيليا 2015

سأمضي في المغامرة، في التغيير، فاتحةً عقلي وعينيّ، رافضةً وسمي أو تنميطي.

الغرض هو تحرير النفس: تركها تجد أبعادها، عدم إعاقتها.

فيرجينا وولف، *مذكرات كاتبة* (1953)

Virginia Woolf, *A Writer's Diary* (1953)

مقدمة

يمكن اعتبار نظام النشر العالمي الجديد آخر ما أسفرت عنه سلسلة الاندماجات والاستحواذات التي جرت في عالم النشر طوال القرن الماضي.

وفي الوقت الذي استطاعت فيه الكنيسة خلال القرن الخامس عشر أن تجنّد الطباعة لأهدافها، كان يتم نشر عدد من الكتب والكراسات من قبل صناعات صغيرة نمت وانتشرت بين الكتّاب والمفكرين. ورغم أن النساء والشعوب التي كانت مستعبدة ومستعمرة واجهت دائماً صعوبات في نشر أفكارها إلا أن تلك المجموعات المهمشة كانت تجد طرقاً لإيصال كلماتها.

انتشر الكتاب حول العالم خلال القرن العشرين، خصوصاً الكتاب ذا الغلاف الورقي الرخيص غير القاسي، كان آلان لين Allen Lane، مؤسس دار بينغوان Penguin للنشر هو من أتاح ذلك في ثلاثينيات القرن العشرين. وكل ما طلبه لقاء الحصول على نسخة كتاب هو نصف بيني: (ما يعادل 480/1 من

الجنيه الإسترليني). أذكر صفوفاً من الكتب البرتقالية اللون من دور نشر بينغوانز Penguins، والزرقاء اللون من بيليكانز Pelicans، والخضراء من كتب روايات الجريمة في متجر كتبنا في ضواحي أستراليا. لم يكن للكتب ذات اللون الأسود المختصة بالكلاسيكيات مكان، و كذلك كتب Puffins المصوّرة، أما الألوان الرائجة الأخرى فكانت تملأ الرفوف.

في القرن الحادي والعشرين نحن موعودون أن «النشر الرقمي» سينقذنا: الكتب الإلكترونية ذات الأسعار المتدنية جداً هي طريقنا، ويمكننا نشر كتبنا بنقرة على الماوس. لكن ما مدى صحة ذلك؟ هل هذا هو العصر الأول من النشر الفردي شديد الاتساع؟ هل سيحتاج أحد لمحررين؟ وما الدور الذي يمكن أن يلعبه الناشرون المستقلون في اقتصاد عالمي محركه الأساسي هو مفاهيم التسويق؟

يَعِدُنا اقتصاد السوق، بصورته المتمثّلة بشركات رأسمالية عملاقة أسماؤها على كل لسان، بأنه سيحلّ كل مشاكلنا. لقد مضت عملية تركّز النشر في الطريق ذاته الذي مرت به عملية التحوّل الصناعي لمنتجات أخرى. فبينما تتدخل شركات الدواء العملاقة بطرق الزراعة، تقوم دور النشر الكبرى بتشتيتنا بشكل مستمر، إذ تقدّم لنا آخرُ خطوط الإنتاج، عروضاً رائعة، وكتباً تكاد تكون مجانية. لكن يُتَوقَع من الناشر أن يبيع بثمن لا يتعدى بضعة دولارات كُتُباً استغرقت سنواتٍ في تحضيرها، ووقتاً طويلاً في تحريرها، وزمناً للاعتناء بمظهرها وملمسها ونوعيتها، تماماً

كالفَلاحة التي تبيع حليب مزرعتها للمتجر بسعر أقل من سعر التكلفة.

إن إصدار الناشرين المستقلين (ستأتي تعريفات ذلك لاحقاً) لكتب جديدة لا يتم بطريقة تشبه إنتاج المصانع. ففي أغلب الأحيان تكون الموارد المتاحة والمبالغ المالية التي يحصل عليها العاملون في إنتاج الكتب ضئيلة مقارنة بالجهد المبذول، لكنهم رغم ذلك ينجحون في إنتاج تلك الكتب أياً يكن الحال.

لا تُشجِع دور النشر العملاقة الكتب الأصيلة، الذكية، التي تحمل مخاطرة، أوالمبتكرة ـ أي الكتب التي ستصبح غذاء الجيل القادم ـ وذلك لأنها تمتلك ما هو جديد وذو نفع. يركّز النشر التجاري العملاق فقط على الأرقام، على التشابه، وعلى اتباع معادلات تستند لآخر النجاحات الساحقة، كإنتاج قصة تُماثل، مع تعديل بسيط، إما روايات هاري بوتر للكاتبة ج..ك. رولينغ، أو فيلم توايلايت (الذي يستند لوقوع إيزابيلا الطفلة اليافعة في حب مصاص دماء عمره 104 أعوام) والتي تملؤها شخصيات لوحوش يمشون كما لو كانوا جنوداً خشبيين مطليين باللون الأحمر.

تستطيع شركات النشر الكبرى، وكذا متاجر بيع الكتب الضخمة، التخلص من أي شيء مختلف وتسطيحه وجعل كل المنتجات الثقافية منتجاً ذا قياس واحد يناسب الجميع. وكل ذلك من خلال أساليب التسويق الضخمة التي تتبعها، بحيث يصبح خط إنتاج الكتب كخط إنتاج الثياب الداخلية النسائية. وكما كتب آندريه شيفرين متحدثاً عن معنى السوق الحر للأفكار،

فإن ذلك «لا يشير إلى القيمة السوقية لكل فكرة. بل على العكس، إن سوقاً حراً للأفكار يعني أن الأفكار من كل الألوان يجب أن تكون لديها فرصة لتقدّم للناس، كي يتم التعبير عنها ونقاشها بشكل كامل» (شيفرين، 2011، تم الاستشهاد به من قِبَل ويلز Wills 2011). في شركات النشر العملاقة يُتوقع من كل كتاب أن يموّل نفسه، وأيضاً أن يغطي كل التكاليف الخارجية المتعلقة بنشره، مثل أجور المكاتب ورواتب المدير التنفيذي. هذا يعني أن فرص النشر ستكون أقل لتلك الكتب التي تنطلق بشكل بطيء لكن لها حياة طويلة، تلك الكتب التي تغيّر المسلمات الاجتماعية.

يبحث الناشرون المستقلون عن سبل أخرى، من أجل التفاعل مع المجتمع وطرق لعكس أشياء مهمة حول البيئة الخاصة التي يعيشون فيها أو المجتمع المحلي. الناشرون الصغار والمستقلون يشبهون نباتات نادرة تظهر فجأة أثناء نمو النباتات الأكبر، لكن تلك النباتات النادرة تضيف شيئاً مختلفاً: إنها تُطعِم التربة، وتجلب للعالم لوناً وعطراً.

يُعرّف الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين «الناشر المستقل» على أنها/أنه: كل من لا يتلقى تمويلاً أو دعماً، مالياً أو عينياً، من مؤسسات مثل المنظمات السياسية، الجامعات والمنظمات الدينية، بما يسمح لها بالتدخل في قرارات النشر. لا يمنع هذا التعريف الناشرين من تلقّي المنح، لكن برنامج النشر يجب ألا يكون خاضعاً للسلطة المانحة. ويتضمن تعريف الاتحاد أيضاً عناصر أخرى، مثل المشاركة الفعالة في تشغيل دار النشر من

قبل مقدّمي التمويل (مثال: دار النشر ليست وسيلة لتحقيق الأرباح السريعة لمصرف مالي أو مؤسسة تجارية). وأيضاً، يجب أن يكون هناك تناغم بين أرقام مبيعات الكتب المنشورة خلال سنة فما دون، ومبيعات الكتب المنشورة قبل تلك السنة. يجب على الناشرين المستقلين أن يسألوا أنفسهم إن كانت لديهم القدرة على ترويج مفهوم تنوّع النشر في النقاشات العامة، أو على العمل مع متاجر بيع كتب مستقلة، مكتبات عامة، ومنظمات محلية، أو تطوير شراكات عالمية مع ناشرين مستقلين آخرين بغرض إنتاج نسخ وترجمات مشتركة. ويشكّل نشر الأعمال الأصلية للمؤلفين أيضاً عنصراً هاماً بعكس شراء حقوق ملكية فرعية لكتاب ما لجعله مُنتَجاً واسع الاستهلاك في سوق كبرى[1].

الناشرون المستقلون ليسوا هجينين، بل هم مصدر التنوّع الثقافي. إنهم من يضعون تنوّع النشر في مواجهة مع دور النشر ومتاجر الكتب العملاقة. هذا الإعلان يشابه المشي على حبل مشدود بين تفاؤل طويل الأمد وتشاؤم قصير الأمد. تحديات كبرى تواجه الناشرين المستقلين في سوق العمل الدولي، وفيما يحمل النشر الرقمي امتياز فتح فرص جديدة إلا أنه في الوقت ذاته يهدّد بإحلال صيغ جديدة من إعادة استعمار الأفكار والملكيات الفكرية. فالكُتّاب، والناشرون، وتجّار الكتب، وأمناء

1- التعريف الوارد أعلاه هو حصيلة مجموعة نقاشات في لقاءات الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين، وعلى وجه الخصوص مع منسّق اللغة الإسبانية، خوان كارلوس سيز، والمدير لورانس هوجوز. يمكن النظر أيضاً: كولو 2006، ص7 حتى 94.

المكتبات، والقرّاء، ومراجعو الكتب، يعملون جميعاً في بيئة مشحونة سياسياً. وبينما يعتبر النشر نشاطاً ذا طابع اجتماعي، ثقافي، انتقالي، إلا أنه في الوقت ذاته يمكن الاستيلاء عليه من قبل أولئك الذين لا يقفون إلى جانب العدالة الاجتماعية والتعبير المُنصِف.

1

تنوّع النشر

الدول الغنية التي تعِظنا حول حرية التجارة، تُطَبّق
سياسات حماية صارمة ضد الدول الفقيرة: إنهم
يُحوّلون كل ما يلمسونه ـ وبضمن ذلك إنتاج الدول غير
المتطورة ـ ذهباً لأنفسهم ونفاياتٍ للآخرين.

إدواردو غاليانو، *شرايين مفتوحة لأميركا اللاتينية*
(1973، ص101)

Eduardo Galeano, *Open Veins of Latin America* (1973, p.101)

تماماً كما يُعتبر التنوّع البيولوجي مؤشراً على صحة نظام بيئي ما، فإن تنوّع النظام الاجتماعي هو دليل على صحته أيضاً، وكذلك يمكننا أن نستدل على صحة صناعة النشر من خلال تنوّع النشر.

التنوع البيولوجي

التنوع البيولوجي هو ذاك النظام المركّب الذي يسمح لمجموعة بيئية مختلفة البقاء على قيد الحياة في حيّز مكاني محدد. هذا إذاً يتضمن التنوّع في المورثات ضمن الكائنات الحية وداخل النظام الحيوي البيئي. يتضمن ذلك النباتات والحيوانات والكائنات الحية الدقيقة. إنه «يتضمن كل الكائنات الحية التي توجد حالياً على الكرة الأرضية، والتنوّعات الموجودة بين تلك الكائنات الحية، والتفاعل ما بين تلك الكائنات وبيئاتها العضوية وغير العضوية، إضافة إلى سلامة تلك التفاعلات» (جوودي وماكدنيل، 1995 ص182). سأقوم بتوسعة مفهوم التنوّع الحيوي ليتضمن التنوّع الثقافي، وأستخدم ذلك كإلهام حول تنوّع النشر.

التعددية

التعددية هي نهج في الحصول على المعرفة يأخذ بعين الاعتبار موقع صاحب المعرفة وبيئته. وهو بهذا نهج يُثَمّن المعرفة المحلية. وهو لا يميل إلى تقييد أولئك الذين يأتون بالأفكار الأكثر أصالة، الأفكار التي تقاوم التيارات السائدة وكل ما تتلقاه من دعم من الدين، رأس المال، الاستهلاك المنفلت، والتسليح.

تنوّع النشر

تنوّع النشر هو نظام معقد من أجل البقاء يستند إلى رواية القصة، الكتابة، النشر، وأشكال أخرى من إنتاج الثقافة الشعبية[2]، والأدب. الكُتّاب والمنتجون يمكن مقارنتهم بنظرائهم السكان في النظام البيئي. يسهم تنوّع النشر في ازدهار الثقافة وصحة النظام البيئي ـ الاجتماعي.

من المفيد التفكير بتنوّع النشر من خلال النظر للموضوع من قاعدته. فجذور الثقافة ضاربة في الأعماق تماماً كشجرة قديمة في تربة مناسبة. تَكَفّلَ الوقت بخلق مكامن للمعرفة، وإن لم تتمكن الشجرة من الغوص في تربة المعرفة تلك فإنها ستموت سريعاً لنقص التغذية. لكن الشجرة ليست وحيدة. بل هي في علاقة اعتماد متبادل مع مجموعة من الكائنات الحية والنباتات والحيوانات الأخرى حولها.

وكما أنَّ النظام البيئي يكون متنوعاً حيوياً عندما يتمتع بامتلاك «توازن ديناميكي»[3]، أي عندما لا ينمو كائن حي بشكل

2- أمثلة عن الثقافة الشعبية تتضمن: الأوديسا والإلياذة، الرائعة الهندية مهابهارتا، أغاني الأبوريجينال الأسترالية مثل: ديانفاوول، وسلاسل كبيرة من الأدب المحكي من حول العالم. وتتضمن الثقافة الشعبية أيضاً مجالاً ضخماً من الأغاني التراثية، الشعر والقصص، إضافة إلى وصفات في الطعام والاستخدامات الاستطبابية. أما في مجال التجارة فتتضمن تعليمات خاصة لصناعة الأغراض، مثل الأدوات الموسيقية، وأكثر.

3- لمزيد حول «التوازن الديناميكي»: انظر صفحة 67، و109 أدناه.

أسرع من الآخرين أو بسيطرة تمحوهم من الوجود، فإن النظام البيئي الاجتماعي يكون متوازناً ديناميكياً فقط حين يمكن سماع أصوات مختلفة.

بالمقابل، يصبح النظام البيئي غير متنوّع عندما تسيطر المزارع الدولية، وزراعات المصانع، والتجارة الزراعية، والكائنات الحية المُعدّلة وراثياً على البيئة، وهذه هي الآثار السلبية للعولمة. كذلك يمكن النظر إلى النظام الاجتماعي؛ فكلما نقص التنوّع في الإعلام، وزاد تمركز ملكية دور النشر ومتاجر بيع الكتب الكبرى في أيدي القلة، نقص احتمال وجود أصوات متنوعة يمكن سماعها أو قراءتها، وسنصبح أمام «ثقافات اللون الواحد» (شيڤا، 1993) وهي مدمّرة بالقدر ذاته الذي تُحدِثُهُ الثقافات العسكرية والزراعية ذات اللون الواحد. إذا تمت إدارة الحياة الاجتماعية من قبل ثقافات أُحادية اللون ـ أصوات فرديةجميعها تقول الشيء ذاته ـ فإن ذلك سيؤدي إلى ضياع التوازن الديناميكي وسيتم تجاهل كل من لديه شيء جديد أو مختلف ليقوله. وفي هذا السياق، يصبح البحث عن منهج يؤكد التنوّع هو الخطوة الأولى. وكي يتسنى للتنوّع أن يحيا، فإن ذلك يتطلب ظاهرة مرافقة للنشر، النقطة التي نجد عندها الحاجة إلى منهج يؤكد على تنوّع النشر.

يتحقق تنوّع النشر عندما يتم تخصيب التربة الثقافية، وتشجيع تنوّع الحالات المعرفية في الوقت نفسه. وهو ما أشير له بالتنوّع الثقافي. ويساهم الناشرون الصغار والمستقلون في التنوّع

الثقافي من خلال نشر عميق لمواد ثقافية (على سبيل المثال: الكتب التي تُبنى على معرفة ثقافية غير متجانسة) وكذلك إنتاج كتب تمثّل طيفاً واسعاً من وجهات النظر والمواقف المعرفية.

في التسعينيات (1990)، قام باختراع مصطلح تنوّع النشر: bibliodiversity = bibliodiversidad مجموعة من دولة البيرو تحمل اسم «مؤسسة الناشرين المستقلين للبيرو».

إن التوجه المالي السائد حالياً في عالم نشر الكتب يؤدي إلى فقدان استقلالية التحرير. إذ تقوم شركات تجارية ضخمة لا تربطها أيه صله بعالم النشر بشراء مؤسسات نشر فارضةً عليها العمل بإنتاجية مرتفعة (الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين، 2007 ، ص1)

أو كما قالت فرانسواز بينهامو Francoise Benhamu في كلمتها خلال لقاء للاتحاد الدولي للناشرين:

في التنوّع الحيوي البيئي يشير التنوّع بكل بساطة إلى عدد الكائنات الحية، في المقابل، يشير التنوّع في عالم الكتب إلى عدد العناوين. لكن بالطبع لا يكفي ترك الأمور عند هذه النقطة. سأعود إلى هذه النقطة لاحقاً. العامل الثاني الذي تتم الإشارة إليه في ضوء مفهوم التنوّع الحيوي هو التوازن، التوازن بين الكائنات الحية. وإذا ما نظرنا لنفهم ما الذي يعنيه ذلك في التنوّع البيئي فإننا نرى الفكرة الواضحة تماماً بأنه إن كان لدينا عدد من الكائنات الحية، لكن بعضها توجد بأعداد ضخمة بينما

تعتبر الأخرى نادرة، فإن تلك التي تتمتع بأعداد كبيرة غالباً ما ستلتهم الأخرى أو تسود عليها. هذا ما يحدث في عالم الكتب، إذ تدفع الكتب التي تحقق رواجاً ساحقاً المعروضات الأخرى والصعبة الترويج من على الرفوف في محلات البيع الكبرى ومن واجهات عرض متاجر الكتب. (بينهامو، 2009، ص28-29).

حين قابلت الحركات النسوية في السبعينيات والثمانينيات صناعة كتب عالمية يسيطر عليها الذكور، واجهت صعوبات مماثلة. كانت النتيجة عقد لقاءات بين الناشرات، بائعات الكتب، والكاتبات، وقد تشاركن مهاراتِهن وبَنيْنَ شبكات علاقات أسفرت عن خلق فرص للنشر المشترك.

عُقِد المعرض الدولي الأول للكتب النسوية في لندن عام 1948. اجتذب المعرض ناشرين وكتّاباً من دول عدة ـ وفي العقد التالي راح يلتقي كل عامين كتّاب وقرّاء ومترجمون وناشرون وبائعو كتب ومتخصصون بالمكتبات وعدد كبير من أناس آخرين، في معارض متتالية في كل من أوسلو، مونتريال، برشلونة، أمستردام، وميلبورن. كانت تلك بوادر تنوّع النشر. كنا نعلم أن ما نقوم به مهمّ، لكننا لم نكن نعرف أن هذه الشبكة الدولية البازغة ستنهار سريعاً. كمؤسسات مستقلة ذاتياً وتُشَغّلها النساء، لم يكن لنا بنية واضحة ولم يكن لدينا تمويل طويل الأمد، ولا مركز إداري بشكل مستمر (من المثير للسخرية أن عدداً من معارضنا أقيم في

أماكن سرعان ما استضافت الألعاب الأولمبية بكل ما تحتاج إليه تلك الألعاب من بنى تحتية ضخمة).

كان من الممكن إقامة معارض كتب تؤلفها النساء لأنه كان هناك اهتمام متنامٍ بالكتابات والنشر النسوي. لكن سرعان ما أُضعف ذلك، بسبب تصنيفات سياسية نظرية وتنامي متاجر الكتب الضخمة.

شهدت حقبة الثمانينيات تنامياً لنظرية ما بعد الحداثة في الجامعات. ركّز المختصون بمرحلة ما بعد الحداثة جلّ الانتباه على قضايا مثل: الحركات النسوية، نظرية المثلية الجنسية، وتحليلات جذرية حول الطبقة الاجتماعية والأعراق. أصبحنا نسمع مصطلحات مثل «النوع الجنسي، النوع العرقي، النوع الهجين» بدلاً من كراهية النساء والتمييز على أساس الجنس، أو الميل الجنسي، أو الطبقة الاجتماعية. نَزَعَت هذه الكلمات الجديدة «طابع التغيير الجذري» من حركات التغيير الاجتماعي.

لقد بددت «ما بعد الحداثة» الطاقة السياسية (برودريب Brodribb، بيل وكلين Bell and Klein, 1996). ونُقِل التنظير من لقاءات الناشطين إلى البروج العاجية. دُفنت الطاقة السياسية في السقيفة وتُرِكَت لتجمع الغبار.

من يمكنه أن يهتف في تظاهرات احتجاجية أي عبارات عن «الطابع العرقي»؟ لا أحد يريد أن يصيح من أجل الجندر. أي نوع من الشعارات يمكن أن يصنعه «العنف المبني على أساس جنسي» في الوقت الذي توجد فيه بشكل ممتاز كلمة «اغتصاب»؟

المحتجّون يريدون أن يثيروا صخباً في مواجهة الكراهية، الاستغلال، كراهية النساء، والإقصاء. نداء النساء: «استردّوا الليل» أو «لا كنيسة ولا دولة، النساء سيقررن مصيرنا»، الناشطون يريدون الاحتجاج حول الحرب، التمييز على أساس العرق، الفقر، التدمير البيئي. المحتجون يريدون إسماع الصوت حول اليوجينا: تحسين النسل والتمييز بين البشر على أساس الإعاقة أو العمر أو الاستبعاد الاجتماعي. ملايين الأصوات أُسكتت نتيجة الضعف اللغوي عند جموع الحركات الاجتماعية، إضافة إلى فكرة أن موقعك في المجتمع يعني التزامك بعدم الحديث لأجل أي أحد لا يشبهك.

المسمار الثاني في نعش النشر النسوي كان اختراع المتاجر الكبرى. في معرض الكتاب الأميركي عام 1993 بدأت ناشرات بمناقشة استراتيجيات المتاجر الكبرى. لاحظت الناشرات أنَّ بوردرز Borders انطلقت بنشر متاجرها في الشوارع والأحياء التي توجد فيها متاجر كتب مستقلة، وبعض الأحيان بجوار تلك المتاجر مباشرةً، التي كان كثير منها متاجر نسوية تمتلك قواعد من الزبائن المخلصين. راحت «بوردرز» تطلب المخزون المتمايز نفسه من الكتب المتوفرة لدى تلك المتاجر المستقلة، غير أنها كانت تبيع كتبها بسعر أرخص وتقدّم القهوة والمأكولات الخفيفة أيضاً، وخلال وقت قصير طُلِب من كاتبات التحدث في أنشطة جرى تنظيمها في المتاجر الكبرى. ليس صعباً توقّع ما آلت إليه الأمور، إذ أقدم الزبائن «المخلصون» على زيارة تلك المتاجر

بدلاً من المتاجر المستقلة. ولنتذكر أن النساء يمتلكن عادةً دخلاً للإنفاق أقل من نظرائهن الرجال، هذا ما سمح بنجاح إغواء السعر الرخيص إلى جانب مغريات أخرى. وقد يخطر في بالك أنه حتى ولو لم تنجح متاجر الكتب النسوية في هذه المواجهة إلا أن الموقف صبّ في صالح دور النشر النسوية التي بات لديها الآن عدد مضاعف من المتاجر التي تشتري منها. هو فعلاً ما كان عليه الوضع في أول مرحلة. لكن الناشرات النسويات وجدن أنفسهن بمخزون غير كافٍ، وبالتالي طلبن طبعات جديدة من الكتب (في هذا الوقت كان يجب أن يكون عدد النسخ ما بين 1500 و2000 نسخة على الأقل للإبقاء على تكلفة النسخة في حدودها الدنيا ما أمكن). وبعض الأحيان ما إن كُنّ يتمكّنّ من تحضير طبعة جديدة حتى يجدن «بوردرز» تُعيد بعض ما سحبته من المطبوعات، لأنها كانت قد طلبت أكثر مما يلزمها، تاركةً دور النشر مع عدد كبير من الكتب وفواتير مستودعات متزايدة. وكثيراً ما كانت المتاجر الكبرى تتوقف عن طلب الكتب الأساسية التي كانت تبيعها المتاجر المستقلة حالما كانت تلك المتاجر المستقلة تغلق بسبب نقص الزبائن.

وبالطبع لم تكن لتحتفظ بأي من الكتب ذات العناوين الغامضة والتي كانت تجد لها زبائن في متاجر الكتب التي تديرها نساء. في الحقيقة فإن المتاجر الكبرى لم تطلب أياً من تلك الكتب، وإن حدث أن فعلت، كان يتعذر إيجاد تلك الكتب من دون وجودها تحت تصنيف واضح في متاجر تملؤها الكتب. صارع أصحاب متاجر

الكتب وأصحاب دور النشر للبقاء. وترافق ذلك مع تطورين هامين آخرين:

كان استخدام التكنولوجيا في صناعة الكتب قد بدأ للتو. كان هناك ما يكفي من الموارد المالية لدى «بوردرز» ومتاجر كبرى أخرى للقيام بعمليات تسجيل مخزونها من الكتب على أجهزة الكمبيوتر. بينما اعتمدت المتاجر ذات المدخول الأقل على موظفين على دراية بما لديهم من مخزون ويستطيعون أخذ الزبون إلى الرف المحدد في المتجر. معظم المتاجر المستقلة لم يكن لديها لا القاعدة المعرفية في مجال التقانة/التكنولوجيا، ولا المال الذي يسمح لها بالتحرك في هذا الطريق الجديد لإدارة عمليات صناعة الكتب. وحتى أولئك الذين فعلوا ذلك، بصعوبة استطاعوا النجاة.

أما العنصر الثاني فكان تأسيس آمازون Amazon.com. كان ذلك بمثابة هجوم مباشر على واحد من أعرق المتاجر النسوية لبيع الكتب، متجر آمازون في ساكرامنتو. احتجّ أصحاب المتجر. أخذوا أمازون دوت كوم للمحكمة، وربحوا تعويضاً لكنهم مع ذلك خسروا لأنه لم يعد بمقدورهم البقاء في مجال الأعمال هذا. وعندما رأى أصحاب متاجر كتب أخرى هذه النتيجة فقدوا الإيمان وتوقفوا عن الصراع من أجل البقاء.

مع نهاية التسعينيات كان قد تبقّى بضع دور نشر نسوية. بقيت فقط تلك الدور التي تمتعت بمهارات تسويقية، وموارد معرفية ومال مكّنها من الانتقال إلى مرحلة المخزون المُسَجّل كمبيوترياً،

وقاعدة متينة من الزبائن الذين فهموا سياسات البقاء. التأثير الأول حدث استشعاره في شمال أميركا حين اختفت متاجر الكتب النسوية في كندا والولايات المتحدة الأميركية، بينما تبقّى فقط بضع من دور النشر. وسرعان ما تأثّر أصحاب المتاجر ودور النشر في مناطق أخرى من العالم الناطق بالإنكليزية إذ انتشرت العولمة وأُنشئت متاجر كبرى في مناطق أخرى من العالم.

كانت الناشرات هنّ المؤشر الأول لما سيحصل أو ما يدعى «الكناري في المنجم». يشعر ناشرون آخرون اليوم بلكمات مشابهة. تعليقاً على صعوبة إدخال الكتب المترجمة في شبكات النشر والتوزيع والبيع الضخمة.

كان تعليق من محرر أميركي في مقابلة أجرتها جزيل شابيرو عام 2007:

> حين نتطرق لترجمات الآداب نجد أن الشبكات الكبرى لديها اليوم ما يسمّونه «التخطي Skip»، هذا يعنى أن هناك على سبيل المثال سلسلة تمتلك 1200 متجر لبيع الكتب ستأخذ صفراً (0)، ولا حتى نسخة واحدة، من النسخ المترجمة (شابيرو، 2014، ص39).

يعكس هذا السيناريو في عالم النشر، ما يجري في الصناعات الزراعية والتحويلية منذ وقت بعيد. تمّ توثيق هذا بشكل جيد في أعمال مختلفة (هاوثورن، Hawthorne, 2012). ما لا يتم توثيقه هو أن صناعة أخرى كانت في أوج توسعها. هي الأخرى ساعدتها

التكنولوجيا الجديدة للإنترنت[4]. قواعد جديدة للتجارة العالمية، والانقلابات النظرية ما بعد الحديثة التي جرت في الجامعات، والمؤسسات الحكومية، الحكومات القومية، ولكن أيضاً المنظمات الحكومية العليا مثل منظمة العمل الدولية والأمم المتحدة. هذه الصناعة هي مشاهد التعري، والدعارة، والتي تضمنت تجارة أجساد النساء والأعضاء البشرية (تأجير الأرحام وتجارة الأعضاء)[5]. أقوم بهذا الربط لأنه لا يمكن تجاهل الصلة بين تطور الإنترنت وتزايد تجارة النساء من خلال الدعارة (Bell, 2001). يرتبط انتشار أفكار جديدة دوماً بصيغ جديدة للقمع. وبينما اختفت مراكز الأفكار النسوية، ظهر للوجود تصاعد الإيديولوجيا التحررية التي تنادي بالخيار الفردي. وبدلاً من مراكز النشاط تمّ توجيه العديد من المدافعات عن المرأة ليضعن طاقاتهن في منظمات غير حكومية (NGO's)، وهذه كانت أيضاً معتمدة في تمويلها على حكومات ومؤسسات تجارية، ولهذا قدّمت تنازلات شديدة حول أهدافها. قلة فقط ممن أدركن الأجندة السياسية الخفيّة استطعن متابعة أهدافهن الأصلية. أصبح شرطاً جوهرياً لوجودهن استقلالهنّ عن المؤسسات، وبضمن ذلك الحكومات

4- اختبرتُ قوة الإنترنت أول مرة في بنغلادش في عام 1993، في مؤتمر نظّمته فريدة أختر لمنظمة البحث والتنشيط UBINIG. بدا واضحاً منذ البداية أننا كمنافحات عن حقوق المرأة في أستراليا وبنغلادش نحتاجُ إلى وسائط التواصل هذه. كنا حينذاك نتشارك المعلومات على مستوى عالمي عبر الفاكس، والبريد، واللقاءات. أبطأ الأماكن في تلقي البريد كانت تلك التي تعتبر نفسها في مركز العالم.

5- من أجل تحليل نسويّ لهذه الموضوعات يمكن النظر إلى كل من:
Ekis Ekman (2013), Raymond (1994), and Raymond (2013).

والجامعات، والشركات التجارية الضخمة، وخصوصاً تلك التي يتحكم بقرارتها من لديهم حصص تملّك.

في أستراليا، تجلت كارثة «سدادة الحمام» حيث تكون الكتب بدرجة أو أخرى عبارة عن المُنتَج نفسه لكن بألوان مختلفة. عندما قامت مجموعة «ريد»، بشكل طوعي بتسييل كل أصولها، ومجموعة ريد هي عبارة عن شركة تجارية تتألف من بوردرز، وايتكولز، وانجوس وروبيرتسون، وتعود ملكيتها لباسيفيك إيكويتي بارتنرز. تجلى المعنى النهائي لمزيج من الديون الثقيلة بسبب سياسات المجموعات التجارية المشتركة الملكية، إضافة إلى أخطاء في التقديرات حول تجارة الكتب الإلكترونية (Lim, 2011) في تقسيم الذاكرة التجارية وضياعها بلا عودة. أن تكون تجارة الكتب في أيدي الشركات التجارية الكبرى تعني أن تبيع كل المتاجر المخزون نفسه من الكتب من متاجر لها الشكل نفسه. وقد يكون هذا حظاً غير متوقع لناشرين يملكون ميزانيات تسويقية كبرى، لكنه حتماً لا يعتبر نموذجاً نافعاً لمجتمعات محلية لديها اهتماماتها واحتياجاتها الخاصة.

في الوقت نفسه الذي كانت المتاجر الكبرى تتدخل في مشهد النشر، كانت تجري تحركات تجاه الكُتّاب. في الولايات المتحدة الأميركية، حيث تتمتع صناعة الأفلام بالكثير من النفوذ، يُستأجر كُتّاب السيناريو ويُدفع لهم أجر مقطوع لإنجاز سيناريو فيلم. وتمنح الاستوديوهات حقوق الملكية الفكرية بموجب عقد للجهة المنتجة.

خسِرَ الكُتّاب في هذا السوق ملكياتهم الفكرية مقابل أجر. الجامعات، والدوريات الأكاديمية والصحافة سرعان ما تبعت ذلك. ذريعتهم كانت أن الكُتّاب يحصلون أصلاً على أجورهم لقاء الكتابة من خلال ما يتلقّونه من رواتب أكاديمية، وبالتالي فالجامعات بإمكانها امتلاك حقوق الملكية الفكرية ما دامت الكتابة كانت تُنجز كجزء من وظيفة الكاتب. ودافعت الدوريات والناشرون الأكاديميون بحجتهم من أن الكُتّاب لم يكونوا بحاجة إلى ذاك الدخل، وأن عملهم ما كان ليُنشر بحال من الأحوال.

في بيئة (أُنشُر أو اختفِ)، يحتاج الأكاديميون إلى دوريات تُعتَمَد مراجع ليحصلوا على الترويج والترقي المهني. انحرفت البيئة الأكاديمية مرة أخرى، وهناك أسباب جيدة لتقديم الحجج ضد صيغ الاتفاق هذه.

ما زال موضوع حقوق الملكية موضوعاً غير أخلاقي ما دام الأكاديميون لا يتمتعون بالأمان الوظيفي.

تزداد أهمية الموضوع للأكاديميين الذين يعملون استناداً إلى عقود موسمية.

معظم العقود تنتهي بحلول الصيف، ما يعني أن العمل فعّال فقط لتسعة أشهر أو عشرة في السنة. وتعتبر رواتب هذه الوظائف منخفضة مقارنة بسواها، كما يمكن إيقاف البرامج الدراسية من دون أية ملاحظات مسبقة، بحيث يجد الأكاديميون أنفسهم فجأة بلا عمل مدفوع الأجر.

في العقود الأخيرة حدث انفجار في البرامج الدراسية المتعلقة بالصناعات الإبداعية، لا في مدارس الفنون والموسيقا فقط، كما كان عليه الحال في الماضي، بل إن مناهج الجامعات تمتلئ أيضاً بشهادات تخص الكتابة الإبداعية، التصميم، الخزف، المسرح، فنون السيرك وأبعد من هذا. وإذا ما أُنجزت كتابة الشعر خلال ساعات العمل أو ضمن عقد عمل موسمي، فهل يعقل أن تطلب الجامعة امتلاك حقوق الملكية الفكرية؟ قد يكون الشعراء هم الأقل أجراً من بين الفنانين المبدعين، لهذا قد يكون من غير العادل معاملة الشعر كما تُعامل براءة الاختراع العلمي الذي أُحرز أثناء وظيفة جامعية. إن قانون الملكية الفكرية جرت صياغته حول الإنجازات في مجال الاكتشاف العلمي.

لكن بالمقابل يجري التعامل مع الشاعرة أو الشاعر كما لو أن شعرهم سيربح ملايين الدولارات خلال السنوات السبعين القادمة. هذا منطق أحمق، لكنه فعلاً ما يطلبه بعض الناشرين من المؤلفين حين يتضمن العقد كلمات «توكيل ـ نقل الملكية الفكرية»، وهذا الحق يتم نقله للمؤسسة.

ما من ناشر يريد حقوق الملكية لنفسه. كل ما يريدونه هو رخصة حصرية. وكل ما يغيّره هذا الموضوع هو الأشياء التي ستحدث بعد موت المؤلف. تبقى حقوق الملكية بيد استوديو إنتاج الفيلم، الجامعة، الدورية الأكاديمية أو الصحيفة. الوقت المعياري المتعارف عليه لحقوق الملكية في كل من الولايات المتحدة، أوروبا وأستراليا هو حياة المؤلف، إضافة إلى سبعين

سنة بعد ذلك[6]. من سيكون هناك ليقتنص الفرصة؟ عدد قليل جداً من الناشرين المستقلين، ذلك أن أكثرية هؤلاء يعتمدون على طاقة المؤسسين ورؤيتهم. على النقيض من ذلك، مؤسسات مثل استوديوهات الأفلام، الجامعات، والصحف ستكون ما زالت على قيد الحياة.

يستلزم «الحق الأخلاقي» ثلاثة حقوق منفصلة يمكن ممارستها فقط من قبل الأفراد: حق الإشارة إلى المصدر، حق عدم الإشارة الزائفة إلى المصدر، وحق النزاهة الذي يمنع المعالجة الازدرائية التي قد تؤذي سمعة الكاتب (ComLaw, 2000).

الحق الأخلاقي له أهمية خاصة بالنسبة لأولئك الذين يقاومون الوضع الراهن. الناشطات النسويات، الناشطون في مواجهة التمييز العنصري، والمعنيون بالبيئة الذين يرون كلماتهم وقد شُوِّهت وأسيء تأويلها. هذا خرق لحقوق المؤلف الأخلاقية.

على سبيل المثال، إذا ما أُريدَ استخدام أغنية ضد الصناعات التي تستهدف الغابات في سياق الترويج للقطع ـ النقي للغابات في مناطق تراثية عالمية، فإن هذا يعتبر خرقاً لنزاهة التأليف. الجانب الآخر هو الإشارة الصحيحة والواضحة للمصدر مع الانتباه لتجنّب الإشارة الكاذبة. وعلى اعتبار أن الكتّاب الذين يقعون خارج نطاق الأفكار السائدة هم أصحاب الأفكار الجديدة

6- الاستثناءات هي للحكومة، إذ تكون المدة هي تاريخ أول منشور زائداً خمسين عاماً، ومجهول الهوية (لنقل مثلاً، منشورات الشركات التي لا تحمل اسماً فردياً للمؤلّف)، المدة هي تاريخ أول منشور زائداً سبعين عاماً.

والطرق الجديدة في التعبير عن هذه الأفكار، فإنه يجب التركيز على الحقوق الأخلاقية التي تعتبر من الأهمية بمكان بالنسبة للناشرين المستقلين لتقديرهم نيابةً عن المؤلفين.

2

قياس واحد للجميع

في النهاية نجحتُ بإقناع المحررين ـ المراجعين لكتابي في دار النشر بأن الإشارة إلى العِرق الذي أنتمي إليه هي مسألة مركزية بالنسبة لمعنى النص الذي سيتلو ذلك، وأنَّ قصتي ستبدو كما لو كانت عبارة عن مخاوف ذاتية وبارانويا متفاقمة من دون المعلومات حول لوني الأسود، أو أننا كنا سنترك للقارئ ملء الفراغات بالافتراض، أو الافتراضات المسبقة، أو الأحكام المسبقة، أو التحيّز. أكثر ما كان مغرياً لي في هذه التجربة هو كيف يمكن للتطبيق الأعمى لمبادئ الحياد، من خلال وسائل الحذف، إما وضعي بمظهر المجنونة، أو جعل القارئ يشارك في عادات قديمة من التحيّز الثقافي.

باتريسيا ج. ويليمز، *خيمياء العرق والحقوق* (1991، ص48)

Patricia J. Williams, *The Alchemy of Race and Rights* (1991, p. 48)

في خضم السعي لعولمة نشر الكتب وتوزيعها، تظهر بشكل واضح الرغبة في التوحيد. خارج الصناعة العالمية يوجد بائعو كتب وناشرون يتصرفون بشكل مختلف. كل منهم لديه الحساسية للبيئة المحلية، وعلى معرفة بالمواضيع المحلية الاجتماعية والسياسية والثقافية. متجر الكتب الذي يوجد في منطقة داخل المدينة لديه لائحة زبائن تختلف عن ذاك القابع في الأرياف. بالمعنى نفسه، فإن متجراً يخدم مجوعة ثقافية متنوعة أو خاصة سيحتفظ بمخزون من الكتب التي تلبي تلك الحاجات المحلية. إن سلسلة لمتاجر الكتب ستحتفظ بطريقة أو أخرى بمخزون يكاد يكون واحداً في جميع متاجرها. سيطلبون مخزوناً غير اعتيادي للزبائن، لكن يصعب أن نجدهم يقومون بتلبية الاحتياجات المحلية. المشكلة الأخرى هي خلق «الزبونية» حيث يكون للمشتري من القوة ما يكفي للتأثير في السوق والقادرة على دفع الأسعار هبوطاً (عكس الاحتكار، حيث يتحكّم تاجر واحد برفع الأسعار). وستكون النتيجة توفيراً وهمياً في المال للزبائن لأن الناشرين سيختفون إذا أصبحت نسبة كبيرة مما ينتجونه غير مجدية اقتصادياً.

من السهل أن نرى كيف أن تنوّع النشر يقابل التنوّع الحيوي والبيئي.

بيئة الأحياء الحيوية، التي هي حتماً متنوعة بيولوجياً، تستجيب للظروف المحلية من الأمطار، نوع التربة، الحرارة، عوامل الريح، وما شابه ذلك. إن بيئة طبيعية تكون فيها المدخلات الخارجية

واحدة تقريباً (على سبيل المثال، بدلاً من العمل مع المحاصيل المروية بمياه الأمطار يتم ريّ المزروعات، أو تخصيبها في أنواع تُرَب معيّنة، أو استخدام الأسمدة، والمبيدات) ستقوم بإنتاج محاصيل متجانسة تتطلب جهداً ضئيلاً لبيعها في الأسواق العالمية، (لأن التسويق نفسه يمكن استخدامه للمنتجات المُصنّعة المتطابقة). الشركات المتعددة الجنسيات والمنادون بالتجارة الحرة يجادلون بحجّة أن الجودة تكون مضبوطة أكثر، وبالتالي فإن البائعين والزبائن يعلمون ما الذي يحصلون عليه. وفي عملية التسويق التي يقومون بها فإنهم يقلّلون من شأن المخاطر المرتبطة بالمبيدات الحشرية المعدّلة وراثياً والإضافات الأخرى غير الضرورية. يدّعون أن المُنتجات أرخص، ولا يُدخِلون في حساباتهم الآثار طويلة الأمد للمواد الخارجية التي قد تتسبب بالسرطان، ونظام مناعة ضعيف، وأنواع متزايدة من الحساسية. وفي الوقت نفسه يموّلون أبحاثهم التي تثبت فقط كم هم مفيدون في كل خطوة يقومون بها.

يعمل نظام النشر العالمي مستنداً للأسس ذاتها. تلك الكتب التي لا تهدد الوضع الراهن، ولا تستجوب سياسياً ولا تخيّلياً وجهات النظر السائدة، تُنشر بأرقام هائلة. تلك الكتب تتكوّم على أبواب محلات البيع (يصعب عادةً ملاحظتها على أنها متاجر كتب). وتقدّم نفسها بصيغة «ثلاثة بسعر اثنين»، أو بحسومات، أو صيغ ضخمة تتطلب موارد (عوامل خارجية في عالم النشر) للطباعة والتوزيع. فقط بعض المؤلفين يحصلون على المزايا الضخمة،

بينما يصعب دخول المؤلفين الآخرين الذين لا يندرجون في هذا التصنيف. هذه المزايا هي نوع آخر من العوامل الخارجية لأنها تأتي مترافقة بميزانيات تسويقية ضخمة، سفر عبر البحار، ومرفقات تسويقية ممتازة من سلاسل فندقية، متاجر عملاقة، خطوط جوية، وحتى خدمات طعام ونبيذ.

جعلُ النشر متجانساً موحّداً يؤدي إلى إنتاج بعض الكُتّاب النجوم، معظمهم يكتب عن نسخة مشوّهة وشعبية لفكرة عمرها عشر أو عشرين أو خمسين سنة، لكنها سُقيت، وجُعلت سائغة لذوق عام لقراء مُوحّدين. هذه الأفكار يعاد بيعها كما لو أنها تشبه بعض الشيء الفكرة الأصلية. بعض الأحيان تكون مصنوعة فقط بشكل سيئ، وأحياناً أخرى تكون سامة، مُشَوِّهة للأفكار لدرجة أن أصحاب الفكرة الأصلية يرتعشون في كل مرة تعاد فيها كلماتهم في سياق يصعب التعرف إليها من خلاله. تماماً كما لو اعتبرنا بندورة/طماطم المتجر الكبير ذات اللون الأحمر الفاقع، لكن بلا طعم، هي الطماطم ذاتها الشهية والمليئة بالعصير، ذات الطعم الواضح التي كانت تنبت في حديقة البيت قبل خمسين عاماً. تدريجياً تتغيّر توقعات الزبائن، يتوقف القراء عن طلب كتب منقّحة بشكل جيد، وفيها أفكار نوقشت بحجج مقنعة، وبُنيَت بإبداع. عوضاً عن ذلك سيحصلون على كتب مبهمة، متشابكة النصوص، كثيرة الأخطاء، غير مفهومة ولا يمكن الوصول إلى المعنى فيها. في الجهة الأخرى من السوق هناك كتب مكررة، فارغة، سهلة التنبؤ وتبسيطية. يا له من وقت رائع للتخلي عن

القراءة! شغّل الكمبيوتر، تلفازك، اللوح الإلكتروني/التابليت، الهاتف، أو مهما تكن آخر وسيلة إلكترونية، وضيِّع نفسك في التشويه المتعمد للتعري، الرياضة، فيديوهات القطط الصغيرة، أو ربما ضيِّع وقتاً أطول باستهلاك دوائر الأصدقاء على شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت.

عندما كتب دون واتسون (2003) «حُكم بالإعدام: خراب اللغة العامة» أضاع الكلمة القاتلة «النوع الجنسي Gender»، مع أنه لم ينسَ مصطلحات مثل «تمكين» و«نتاجات/مُخرجات». حتى عمله اللاحق معجم كلمات ويسل (2005) الذي تضمن قوائم أكثر طولاً، نسي أيضاً تضمين كلمة «جندر». نسيها لأن الرجال يعلمون أن كلمة «النوع الجنسي Gender» لا تعنيهم. تماماً مثلما يعلم البيض أن العنصرية هي شيء يمكنهم تجاهله، وكما يتذمر دوماً أبناء الطبقات الاقتصادية العليا من أن الطبقة العاملة والفقراء يجب أن يلوموا أنفسهم فقط على مأزقهم المعيشي، أو أن الطبقات الاجتماعية هي نتيجة «خيارات» اتخذها الناس أو اعتمدوها.

لكن العنصرية والفقر هي أوضاع إنسانية واقعية. معظم أولئك الذين يحملون وطأة العنصرية ينتمون إلى مجموعات من الناس سُرِقَت أراضيهم، وتحوّلت معيشتهم من نشاطات مستدامة بفضل الاعتماد على الذات، إلى نشاطات تعتمد على المستعمرين، ملّاك العبيد، القوادين، المدير في الشركة التجارية أو «الكلب الأعلى» المجرم الذي يدير شبكةحماية تقوم على الابتزاز.

كراهية النساء هي أيضاً واقع، ينتج عنه قتلٌ، واغتصابٌ، وضربٌ لملايين النساء سنوياً. لا يتعلق الأمر بـ«النوع الجنسي»، بل بالمرأة كطبقة اجتماعية جنسية. الغالبية العظمى من فقراء العالم هُنَّ نساء. يستنتج جوني سيغر بصفته مختصاً في الجغرافيا: «تشكّل النساء أكبر مجموعة واحدة من الفقراء. إنهن من بين أفقر الفقراء» (1997، ص121).

إذا أخذت الحركات الاجتماعية التقدمية هذه الحقيقة بشكل جدي سيكون هناك إعادة تفكير بشكل جوهري في السياسات، وأهداف تلك السياسات. إنها حقيقة بديهية أنه إذا لم يَعُد الأشد فقراً والأكثر تجريداً من حقوقهم بهذا الوضع، فإن حياة الجميع سيمكن اعتبارها جيدة إلى حد ما. نزرٌ يسيرٌ من الأغنياء جداً أو الموهوبين كثيراً قد لا يكون لديهم المال الكثير نفسه، لكن ما دام هذا المال متاعاً إضافياً على الدوام فإنهم قلما سيفتقدون له. ونقص المال لن يشكّل تهديداً للحياة، في الحقيقة، قد يساعد ذلك بتحسين حيوات الأشخاص المصابين بالملل وأصحاب المليارات الساخرين الذين ما عادوا يعرفون ماذا يصنعون بأنفسهم في دولهم كثيرة المُحَفّزات وغالباً ما تكون مُخدّرة.

كراهية النساء والعنصرية كلاهما من المهم معارضته بقوة. تقع النساء بشكل مستمر تحت وطأة الهجوم من قبل أولئك الذين يصنعون صوراً جنسية من تهديدات العنف ومن العنف الفعلي، سواء أكان «الاغتصاب التصحيحي» للمثليات جنسياً، أو الاستغلال الجنسي للبنات والأولاد، أو عنف الصور والأفلام

التي تتم مشاركتها عبر الإنترنت وأجهزة الهاتف المتنقلة. العنف «التقليدي» ضد المرأة في البيت، والشارع، ومكان العمل، يستمر كلما وُجِدت صيغ جديدة له: «كرة القدم بالثياب النسائية الداخلية»، بيوت الدعارة المتطابقة، تجارة النساء عبر الحدود وداخل الدول.

إن تطبيق أفكار التجانس (جعل كل الأفكار متماثلة) يدعم المبادىء العنصرية من حيث التشابه في بُنى كل منهما. جعلُ كل ما هو مجهول «آخر». والقوي، بحسب فهمهم لمن يستحق هذا التوصيف، هو من يمتلك صعوبات بالغة في ملاحظة عجزه عن التعاطف مع أي شخص لا يشاركه أنواع الاستحقاق هذه نفسها.

> لا يمكن تقليص العنصرية لتنضوي إما تحت نظرية العنصرية، أو الممارسات العنصرية. لا تغطي النظرية والممارسة كل حقل العنصرية الذي يمتد أبعد من الأفكار الواعية. كإيديولوجيا، تعتبر العنصرية غير واعية لمعناها الذاتي (جويلومين، 1995، ص29).

لا ينظر الشخص العنصري إلى مفهوم «البياض» (ماريسون، 1993، ص9-10) على أنه إشكالي، هي فقط ألوان الجلد الأخرى والملامح المرتبطة بجماعة مكروهة. إنها علامة وسم جسد الآخر. في حال العنصرية يحدث هذا بشكل أساسي من خلال لون الجلد، لكنه قد يأخذ شكل ممارسات اللباس، أو علامات على الجسد (وشم، شكل شعر، زخارف على الوجه أو الجسد).

في عالم الشخص العنصري، الجسد «الخالي من العلامات» هو «أبيض». هذا «الوسم» يمتد إلى مجموعات أخرى، كلٌّ منها تقوم بإضاءة اختلاف ما عن الأجساد غير المُعلّمة التي تحظى باستحقاق التميّز عن الآخرين. هذا الجسد الموسوم بعلامة يمتد إلى المرأة (هاوثورن، 2002)، المُقعَدين (ميرس، 1992)، المجنون (جيفس، 2000)، أصحاب السلوك الذي لا يمكن التنبؤ به (هاوثورن، 1996)، وتماماً كما هو الحال في الإيديولوجيا العنصرية يمتد الأمر إلى نصوص الميول الجنسية للجنس الآخر (ويتغ، 1992، ص25).

يُعتبر تحدي الأفكار المتعلقة بـ«الاستحقاق» مركزياً حين نتحدث عن مفهوم تنوّع النشر. فالناشرون الذين يتخذون النية للمساهمة في تنوّع النشر، يتحدَّون الأنماط الشائعة التي غالباً ما تُلصق بـ«متطلبات النشر». النجاح الهامشي الذي قد يحققه بعض هؤلاء الكتّاب والناشرين يُفسّر بأن المؤلف يتخذ موقفاً متطرفاً كـ«غريب»، «نسوية مسعورة»، «صوت المصدومين أو المنحرف جنسياً». تصبح هذه الأوصاف في ما بعد نقاط ارتكاز لصور نمطية جديدة. والناشرون الذين ببساطة يختارون اتباع آخر النجاحات في النشر قد يُنتِجون أيضاً كتباً لها المحتوى نفسه، لكن فقط بألوان مختلفة. إنه النقيض تماماً للنشر من أجل تنوّع النشر.

3

التُّربَة

تضاعفَ عُمري وما زلت أتعلم
المزايا الداخلية للبقرة
تشبّثي بمكانك! يصيح أبي
بينما كبرى بقرات القطيع
تنفلت وتركض مباشرةً نحوي
ألوّح بيدي، ألوّح بالعصا في نهاية ذراعي
أقفز وأصرخ وألوّح
متران قبل أن أصبح تاريخاً
تنحرف جانباً وتعود إلى القطيع
وجدتُ بقرتي بداخلي
تعلّمتُ المزايا الداخلية
أنها ستُفسِح الطريق إن تشبثت بمكانك
تشبّثي بمكانك! أقول لنفسي
حتى البقرة الداخلية مُتأثّرة

سوزان هاوثورن، *البقر* (2013، ص2)

Susan Hawthorne, *Cow* (2013, p. 2)

ترعرتُ في الريف الأسترالي. كنت محظوظة لأني نشأت في بيت فيه كتب، حيث القراءة ورواية الحكايا كانت أشياء يُشجّع عليها. لم يكن لدينا إمكانية الوصول إلى المكتبات، ولم يصبح التلفاز واقعاً ملموساً إلى أن انتهت طفولتي. كان لدينا مسرح صور نرتادهُ مرة وأحياناً مرتين في الأسبوع. كنتُ أظن أن كوني طفلة ريفية من أستراليا هو نقيصة. لكن تلك المعرفة القروية التي ظننت أنها جعلتني أقل شأناً، استطعت أن أراها في ما بعد الإرث الأكثر قيمة الذي حصلت عليه.

من تلك الخلفية صرت كاتبة وناشرة. ورثت حُبّ الكتب عن أمي، وحُبّ رواية القصص عن جدتي. لطالما انتميت إلى أنظمة معرفة هامشية خلال حياتي، فلما دخلت عالم النشر تذكرت نصيحة فاليري سولان (1967) التي ناشدت النساء ألا يكنّ «بنات الأب الباحثات عن الموافقة» (ص41)، بل أن يصبحن «عضوات في القوى التي لا تعمل» (ص42) وأن يغيّرن النظام.

العنصر الثاني الهام في طفولتي كانت الطبيعة. نشأتي في مزرعة حيث تنمو الأعشاب في باحة بيتنا جعلتني أطوّر علاقة استثنائية مع العالم الطبيعي لا يمكن شرحها شرحاً كاملاً بالكلمات. كان لدى والديَّ إحساس فطري بالبيئة، اهتمّا بالأشجار، وبأهمية الظل للخِراف. ومع أنهما قد استخدما التكنولوجيا المتاحة في وقتهما، والمبيدات الحشرية والأسمدة، لكن لم يتصرفا أبداً بلا مبالاة. كانت أمي أول من ذكر لي اسم راشل كارسون. في «ربيع صامت» (1962)، كشفت كارسون

الضرر الذي يلحق بالبيئة بسبب استخدام الـ(دي دي تي) وأنواع المبيدات الحشرية الأخرى. تأثّرت أمي بوصفها امرأة مزارعة ومثقفة بـ«صمت الربيع». كنت لا أزال صغيرة جداً لأعرف ما فعلوه مسبقاً، لكن بعد قراءة الكتاب، راح والداي يتوخّيان العناية الفائقة في ما يقومان به، ومع أنهما استمرا باستعمال المبيدات الحشرية إلا أنهما صارا يقومان بذلك باعتدال.

حسناً، ما معنى كل هذه الرواية الذاتية؟ إن ما تعنيه هو أن الشخصي هو سياسي. التربة أساس البيئة. البذرة البرية ستؤثر على التنوع البيولوجي/الحيوي، والنوع الإبداعي البري سيُساهِم في تحسّن صحة الثقافة. التنوّع المكتبي هو إنتاج المعارف المحلية والهامشية خارج ما هو سائد. منتجو هذا النشر المتنوع يسكنون في الهوامش: اجتماعياً، سياسياً، وغالباً جغرافياً ولغوياً (ندومب، 2007؛ بيل 1998/2014).

4

التعددية

العِرقية هي طفيان الجماليات الغربية.

جلوريا أنزولدوا، *بوردرلاندز / لا فرونتيرا* (1987، ص68)

Gloria Anzaldúa, *Borderlands / La Frontera* (1987, p. 68)

يتضمن مفهوم التعددية[7] في جوهره احتراماً لأنظمة المعرفة التي تتولد عن التجربة، وكذلك أيضاً عن البحث والدراسة. وهذا التفاعل بين أنظمة المعرفة المختلفة ضروري لتطوير أنظمة تمنح قيمة للجماعة، والقدرة الذاتية للكائنات الحية على البقاء، وعواقب ذلك كله وسياقاته.

7- من المثير الإشارة إلى العلاقة بين كلمتَي جامعة، من جهة، وكونيّ أو شموليّ، من جهة أخرى. (باللغة الإنكليزية الكلمتان هما: university, universal).

قدّم أوغاندا بول وانغوولا (2000) تعريفاً آخر للتعددية[8]. فالتنوّع المتعدد، حسبما يراه، هو تحدٍّ للطرق التي تُبنى بواسطتها المعرفة في الأنظمة الغربية، خاصة في الجامعات حيث التجريد والانقطاع عن المكان ينتُج عنه عدم إمكانية النصوص الاختصاصية على التخاطب بين اختصاصات مختلفة. وهو يقترح تنوّع مبامبو Mpambo الذي يقاوم بشكل فعال التحديث وما يرافقه من قطيعة مع الثقافة (ص270-272).

المفهوم الإرشادي الذي يستند إليه مبامبو يقوم على أنه ما دام الناس متجذرين في معارفهم الخاصة، فسيكون بإمكانهم خلق حوار وتعاطف وشراكة وتعاون وبناء الانسجام والتلاقح بين: القطاعات، والمعارف، والثقافات، والحضارات (ص274).

المعارف الهامشية ساهمت مساهمة كبيرة في المعرفة النسوية. الشخص التعددي، بعكس الشمولي، يلاحظ أن المُسَلّمات تعمل ضد الأعضاء الذين جُرّدوا في مجتمعاتهم على اعتبار أنها تنكر أهمية المعارف المتولدة عن هؤلاء المجرّدين. على العكس من ذلك ترى التعددية أن هناك عدة طرق لتنظيم المعرفة، وأنّ أولئك الذين يعيشون على مقربة من العالم البيولوجي الحيوي لديهم أفضل معرفة وهم على دراية جيدة بالظروف المحلية، وبالمثل فإنّ الفقراء، والنساء، والأشخاص

8- اعتقدتُ أنني من اخترعت مصطلح «التعددية» حوالي عام 2000، لكن اكتشفت في عام 2001 أن بول وانغوولا استعمله أيضاً. استخدامه، كنوع آخر للكلّي، هو التطبيق الأكثر شيوعاً لهذا المصطلح. يعود مفهوم التعددية آلاف السنين لعلم الكون الهندوسي.

المهمشين، لعدد من الأسباب، لديهم الكثير مما يمكنهم تقديمه بحسب إدراكهم وفهمهم للعالم. يشرح وانغوولا الاسم:

> بعد الحصاد تختار الأم أفضل البذار ليُحفظ بعناية للزراعة في الموسم المقبل. بعد ذلك يعطى الإذن بأكل البقية. في لغة لوسوغا الأوغندية يعني المبامبو أفضل البذار الذي احتُفظ به للنماء والتكاثر (ص277).

تمنح التعددية أهمية لوجود عدد من صيغ المعرفة المختلفة في هذا العالم، إذ تعتبر وجود هذه المعارف المتنوعة ضرورة للمعرفة الإنسانية كلها (ص273). الحذر هنا يكون لأهمية احترام الطريقة التي تُبنى بها صيغ المعرفة، فامتلاك نتائج تلك المعرفة أو الاتجار بها يؤدي إلى تشويهها. لأنه كما يحوّل المال في مجتمع «وارلبيري Warlpiri» المحلي في أستراليا المعنى الاجتماعي (بيل، 2002/1983) كذلك تفعل تجارة الأفكار التي تُعتَبَر بشكل بنيوي لعنةً لاقتصاديات غير مبنية على المال.

امتلاك الأفكار يُعتبر مركزياً للمنهج الرأسمالي. إذ تمتلكها مؤسسة (وسيلة إعلامية، جامعة، شركة نشر، منظمة غير حكومية، شركة تجارية، أو معهد) تقوم بأخذ فكرة قام بإطلاقها شخص ما أو مجموعة على حافة الدائرة الثقافية العامة. بعد ذلك يجري تشويه تلك الفكرة بحيث تتضمن بعض الكلمات الأصلية، لكن المفاهيم تُلوى وتُستخدم بطرق لم تكن في نية أصحابها الأصليين؛ بمعنى أنه يجري كسر الحقوق الأخلاقية للمصدر. بعد ذلك تباع تلك الصيغة المشوّهة مرة أخرى لأولئك الذين لم

يكونوا جزءاً من أصحاب الفكرة الأصليين، وإنما إلى جانبهم أو في جيل لاحق. تؤخذ تلك الفكرة بعد ذلك، وتسلّط عليها الأضواء وتُمنح قدراً كبيراً من الإعلام، والمهرجانات، والمساحات التعليمية. فيما يجري تجاهل أصحاب الفكرة الأصليين أو ذمّهم من قبل المستخدمين اللاحقين للفكرة، لأنه بحدوث هذا كله، يصبح ممكناً القول لأصحاب الفكرة الأصليين إنهم مخطئون.

في السنوات الأخيرة أصبح هناك فيض من العمال الذين يرتدون سُترات عاكسة وقبعات قاسية. في البداية كان ارتداء مثل تلك الثياب ضرورياً لأسباب الصحة والأمان لكل من يعمل في أماكن خطيرة مثل الطرق، بعض الآلات في المصانع، أو أماكن مشابهة حيث تكون الرؤيا هامة. في شباط 2014 كان المدير التنفيذي لشركة فورد في «جيلونغ Geelong» في أستراليا يتحدّث عبر التلفاز مرتدياً الزي العاكس؛ غالباً ما ارتداه السياسيون من أجل ظهور إعلامي أكبر. إنه امتلاك لفكرة الطبقة العاملة. إذا كان المدير التنفيذي يبدو مشابهاً فقد يكون فعلاً رجلاً جيداً، واحداً منا!

استيلاء مشابه يحدث في الحركات البيئية، إذ يدّعي المشكّكون امتلاك الأرضية الأخلاقية حول كل أنواع الموضوعات. في مثال واضح تماماً نسمع القول بأن الأغذية المعدّلة وراثياً ستحُلّ مشاكل الجوع في العالم. هذا تسويق زائف وغير مدعوم بالدليل (مثال، كرووش، 2001؛ شميتز، 2001؛ شيفا، 2012؛ هاوثورن، 2002). ما تسمى بالثورة الخضراء، التي ادّعى

القائمون عليها بأنهم سيجلبون النماء الزراعي للهند، تبيّن أنها كارثة زراعية. توضح فاندانا شيفا: «كيف يتم خلق المؤسسات العلمية المعاصرة بشكل سياسي واجتماعي و... تبرئ نفسها من كل مسؤوليات الفشل» (1991، ص23). وتتابع بالحجّة مبرهنة أن «البنجاب» حيث بُذل الكثير من الجهد لخلق «ثورة خضراء»، قد تحوّل إلى «إقليم مزّقته المآسي والعنف. بدلاً من الوفرة، تُركَ البنجاب بتربة مريضة، محاصيل تنتشر فيها الآفات، صحاري مغمورة بالمياه ومزارعين تعساء ومدينين» (ص19). ففي عالم التجارة الزراعية والصناعات الطبية تعتبر كل هزيمة هي فرصة جديدة للأعمال الربحية (هاوثورن، 2003b).

في الحركات النسوية، جرى أكبر استيلاء بتحويل الدعارة إلى «قطاع أعمال جنسية» من قبل القوادين، ومشتري الجنس، والمعتذرين عن الصناعة الجنسية الذين يدّعون التكلم باسم «الحركات النسوية». هذا الاستيلاء يضمن بقاء النساء «في موقع الأفق»[9]، النساء يتم استغلالهن، يتوقع منهن أن تتقبّلن العنف، وأن يتصنعن أنهن يستمتعن بالعروض الإباحية حيث تؤذين وتنتهكن بوحشية[10].

9- في عام 1964 قال ستوكيلي كارميشيل: «ما هو مكان النساء في الـ SNCC؟ مكان النساء في SNCC هو الاسترخاء» (هايدن وكينغ، 1965). SNCC كان مجلس التنسيق اللاعنفي الطلابي. من خلال ذكريات عضوات في المجلس أعرفهن، أدى ذلك التصريح لترك عدة نساء للمنظمة التي كُنَّ عملن بجد لدعمها.

10- لقراءات أبعد يمكن النظر إلى:
Raymond (2013); Sullivan (2007); Ekis Ekman (2013); Tankard Reist and Bray (2011); Dines (2010); Jeffreys (1997); Bray (2013); Stark and Whisnant (2004).

تُشارِك صناعة النشر غالباً في عمليات الاستحواذ هذه مما يؤدي إلى هلاك الناشرين المستقلين الذين ينشرون للحركات الاجتماعية ومن أجلها. كان لأصحاب المتاجر العملاقة دور فعال في هلاك النشر النسوي. هل ستكون الكتب الإلكترونية هي الوسيلة المستخدمة لقتل النظام الحيوي البيئي لعالم النشر؟

5

الإنتاج

يتعرض تنوّع النشر اليوم لتهديد مصدره تُخمة النشر، والمركزية المالية في عالم النشر، وهو ما يمهد الطريق لتفوّق حفنة من مجموعات النشر الرئيسية والبحث عن الإنتاجية المرتفعة.

التحالف الدولي للناشرين المستقلين، «*تنوّع النشر*» (2014a)

International Alliance of Independent Publishers, *'Bibliodiversity'* (2014a)

تقدّم ڤاندانا شيڤا في «قريباً من البيت» مفهوماً لحدود الخلق والإنتاج (1994، ص140-141). في عالم المزارع، تقع حدائق البيوت وكذلك الحيوانات التي يؤخذ حليبها وبيضها للاستهلاك المنزلي خارج حدود الإنتاج. في عالم الكتب، تقع النصوص الذاتية النشر خارج حدود الإنتاج. مثل هذه الأعمال

لا يمكن اعتبارها جزءاً من الاقتصاد المحتسب لأنها تُنتج لاستخدام شخصي (الأرباح ليست السبب الأساسي في البقاء) أو للاستهلاك المحلي أو البديل. في احتساب الناتج المحلي الإجمالي يعتبر احتساب هذا النوع من الإنتاج/الخلق انتحاراً اقتصادياً. لكن دعونا نفكر لدقيقة ببعض الأمثلة التاريخية.

نُشرت أعمال فيرجينيا وولف من قبل هوجارث بريس، مطبعة يديرها ليونارد وفيرجينيا وولف. قامت فيرجينا بالجزء الأكبر من التنضيد والتغليف للكتب. شيكسبير آند كمبني، هو متجر كتب يقع في باريس ويديره كل من سيلفيا بيتش وآدريان مونييه، نشرت أليزيس (1918) لـ جيمس جويس. برير (وينيفريد إليرمان) نشر بشكل خاص عمل الشاعرة الأميركية اتش دي (هيلدا دوليتل). ذكرت هؤلاء الحداثيين الثلاثة لأنهم يملكون اليوم صناعات أدب متميزة نشأت حول أعمالهم. و لم يكن ممكناً بحسب نموذج النشر التجاري، سوى لعدد قليل من أعمالهم أن تنشر، لأنهم جميعاً كانوا يكتشفون أرضيات جديدة، يُجرّبون، أو ببساطة كانوا يكتبون بطرق لم تكن رائجة شعبياً في ذلك الوقت. جميعهم قدّموا مكافئاً للدعم البيئي على صعيد الثقافة، أي تنوّع النشر. حين كانت ڤيرجينيا وولف تقوم بعمليات التنضيد لـ هوغارث برس، كان ذلك فناً عمره مئات السنين وتطلّب منها أن تصبح «مؤلفة منضدة». وبينما كانت تشارك بهذه الطريقة في عملية الإنتاج فإنه ينظر إليها اليوم على أنها كاتبة قامت على النشر الذاتي. وقبل الظهور الشاسع للنشر الذاتي بوقت طويل،

تحدثت ڤيرجينيا وولف عن فوائد الدخول إلى قلب عملية النشر، وبشكل واضح، ألا يكون الكاتب مديناً بالفضل لمراوغات القدر والموضة، التي قد تصنع الكاتب أو تدمره. في الحقيقة، قالت وولف عن نفسها إنها كانت «المرأة الوحيدة في إنكلترا حرة لأكتب ما أحب» (وولف، 1953/1975، ص83).

إليانور كاتون، مؤلفة ذا لومينري (2013a)، تعاود التأكيد على أهمية كون الأدب أكثر من مجرد عملية استهلاكية.

> في أفضل حالاته يعتبر الأدب مواجهة نقية: إنه يقاوم الاستهلاك لأنه لا يمكن استهلاكه ولا يمكن انتهاء صلاحيته. الروابط التي تنشأ بين القرّاء والكتّاب، القرّاء والشخصيات، والقرّاء والأفكار، ذات معنى لا يمكن أبداً أن تكون عليه تلك الروابط التي تنشأ بين المستهلكين والمنتجات. يتطلب الأدب الفضول، التعاطف، التساؤل، الخيال، الثقة، تأمل السخرية، استئصال التحيّز؛ بالمقابل، يقدّم الأدب للقارئ: الفضول، التعاطف، التساؤل، الخيال، الثقة، تأمل السخرية، استئصال التحيّز. (كاتون، 2013b).

تنوّع النشر، كالتنوّع البيئي، لا يرتكز فقط على الأرباح. بل يقوم على خلق ثقافة أدبية قادرة على البقاء. الأدب والثقافة الشعبية، يخلقان الثقافة وهما أساس الأفلام، المسرح، الموسيقا، الفن، وصيغ ثقافية متعددة أخرى. تخيّلوا عالماً بلا قصص جنيات، بلا

شِعر، ولا غناء، وكل الصيغ الفنية التي تشير للحكايات التي رواها الإنسان عبر العصور. في كتابتها عن التنوّع البيولوجي، تشير تيموثي سوانسون Timothy Swanson إلى:

> يخدم التنوّع البيولوجي وظيفة متميزة في عمليات البحث والتطوير. إذ يمثّل مصدراً للمعلومات الجديدة يمكن استخدامها بعد ذلك كقاعدة انطلاق لتطوير ابتكارات جديدة. وحالما يصبح جزءاً من العمليات، يجري تذويبه جزءاً جزءاً في القطاع التجاري وتحرّيه على هذا الأساس (1996، ص6).

تعتمد أنماط النشر السائدة على المستقلين أيضاً من أجل البحث والتطوير الثقافي. واحدة من المشكلات التي يواجهها الناشرون المستقلون هو كيف يمكنهم الإبقاء على الثقافات حية من دون ارتكاب خطيئة التذويب[11]. كيف يمكننا أن نفعل ذلك؟ لا بدّ من نيّة واضحة لرفض الابتلاع؛ هذا هام، على سبيل المثال، مقاومة الإغراء لجعل اللغة أكثر «قبولاً» للقراء الدائمين، في أستراليا، هذا جانب هام عند التعامل مع الكتاب من السكان

11- تشير كلمة ابتلاع/ تذويب إلى معانٍ ثقافية مختلفة في اللغتين الفرنسية والإنكليزية. في الإنكليزية، تستخدم للدلالة على علاقة مع الابتلاع الثقافي، وهي تعني أن شخصاً من خارج أستراليا يجب أن يتبنى المعايير الاجتماعية، اللغة والعادات التي يمتلكها «الأستراليون» (دون أن يعني ذلك أن الأستراليين الأصليين هم المجموعة المتميزة). في الفرنسية، تعني الكلمة هضم شيء ما؛ تحطيمه لأجزاء؛ تختفي صيغته الأولى؛ ولن يكون بالإمكان تمييز الجبن من البطاطا.

الأصليين باعتبار أن اللغة الإنكليزية الأسترالية واللغة الإنكليزية للسكان الأصليين ليستا متطابقتين. في السياق نفسه، لقد قاتلنا كناشرين أستراليين للحفاظ على أستراليتنا والتهجئة الأسترالية عند بيع الحقوق لناشرين من المملكة المتحدة، أو الولايات المتحدة.

لدى اللغات الأوروبية الاستعمارية ـ الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية، الهولندية، الإسبانية، البرتغالية ـ مساحات من اللغات المنتشرة حول العالم المُستعمَر. الناشرون في هذه المستعمرات السابقة يدفعون دوماً بالحدود التي تقرر ما هو نموذجي وما هو غير نموذجي. أكثر من هذا، لقد تمت إبادة اللغات الأصلية في عدد كبير من الدول التي استُعمرت (هذا هو الحال مع أغلب اللغات الأصلية في أستراليا). وحيث نجت اللغات، ما زال أولئك الذي ينشرون بـ«اللغة» يجدون أنفسهم مأخوذين باللغة المسيطرة. في أوروبا نفسها، نجحت دار نشر تكسالاباتا Txalapata في البقاء لخمسين عاماً من خلال خلق نادٍ للقراءة. وبعض متاجر الكتب الإسبانية لا تحتفظ بكتب تكسالاباتا لأنهم يقولون إن تكسالاباتا عبارة عن إرهابيين (سوتو، 2013). لكن لا يكفي الاتهام بالإرهاب ليجعل من الكتب غير مرئية أو صعبة المنال. يُعتبر إيجاد كتب باللغات الإفريقية تحدياً حتى في إفريقيا نفسها، والشيء نفسه يمكن قوله عن اللغات الأصلية والاستعمارية في كل مكان حول العالم.

الكاتبات النسويات دوماً يواجهن تحديات مشابهة وعليهن

أن يقاتلن باستمرار للاحتفاظ باللغة والمفاهيم النسوية على قيد الحياة في وجه الإعلام وردود الفعل العنيفة السائدة، والاستحواذ، والتشويه (هاوثورن، 2004؛ 2001a)[12].

12- من أجل نقاش أطول حول المعرفة والتماثل الثقافي يمكن النظر هاوثورن (2002، ص86-109). من أجل نقد سياسات التذويب/الابتلاع يمكن النظر: هاوثورن (2004).

6

الحركات النسوية

إذا خضعنا فستكون تلك إشارة إلى سهولة انقيادنا
ورضوخنا لما نحن عليه، وبالتالي يجب أن لا نطلب أن
نؤخذ في الاعتبار، نحن نرضخ حين نكون غير مرئيات،
حين لا نحتل أي مكان. نحن نساهم بمحونا.

ماريلين فري، *«القمع» في السياسات الواقعية*
(1983، ص2)

Marilyn Frye, *'Oppression' in The Politics of Reality* (1983, p. 2)

تشكّل الحركات النسوية بنداً جوهرياً في تنوّع النشر. ما تعنيه الحركات النسوية هو الاعتراف بأن هناك قمعاً وتحيّزاً تجاه المرأة حول العالم. على الرغم من ذلك، لا يكفي فقط الاعتراف بذلك. جزء لا غنى عنه من عمل الحركات النسوية يستدعي القيام بشيء ما لتغيير الوضع الراهن.

ليفعلن أي شيء من ذلك. في الواقع، يُظهر البحث أنه حين تمتلك النساء المال يكنّ أكثر ميلاً لإنفاقه على مواد تضمن البقاء، مثل الطعام، المأوى، الدواء، والتعليم لأطفالهن وأفراد العائلة الآخرين (مهما كان الشكل الذي تكوّنت به تلك العائلة)؛ الرجال بالمقابل يميلون للإنفاق على مواد رفاهية شخصية يستهلكونها وحدهم: الكحول، التبغ، البنزين، المخدرات، القمار، والدعارة (هاينز، 1999).

يبدو كما لو أن هناك حملة تسويقية مدبرة ضد النسويات، من قِبل من لديهم الموارد، وقوة التوزيع التي تمنحها التكنولوجيا.

7

مشاهد التعري

كانوا واضحين منذ البداية من أن أي انحراف
عن المعايير سيُعاقَب. حوّلوا كل شيء إلى سجن
وبضمن ذلك أجسادنا.

آبيجيل براي، *إعادة تلقيم كراهية النساء* (2013، ص1)

Abigail Bray, *Misogyny Re-Loaded* (2013, p.1)

للمهتمين بتنوّع النشر، تُعتبر تجارة مشاهد التعري حالة تستحق الدراسة. لجأت عدة مطابع صغيرة ومستقلة في دول عديدة لنشر مشاهد التعري كي تحافظ على استمرار وجودها. يعلّلون ذلك بما يوفّره من نقود لازمة لنشر كتب أخرى مثيرة للاهتمام.

ما الذي تفعله مشاهد التعري؟ ولمن يحدث ذلك؟ يُذِلّ التعري

الشخص الواقف أمام الكاميرا والذي لاحقاً تنشر صوره بشكل تقليدي أو إلكتروني. ويُتوقع من هذا الشخص أن يتقبّل الإهانة، والألم، والانحطاط، والتجريد من الصفات الإنسانية. يُتوقع منها أن تقبل تصويرها على أنها قذرة، فاحشة، وليست أكثر من فتحة، وعبدة. ذاك الشخص غالباً ما يكون امرأة. تتعامل تجارة التعري مع النساء جميعاً كما لو كنّ نسخة واحدة؛ إنها تعتبر النساء كلهن كتلة متجانسة، وتجعل منهن مجموعة واحدة يمكن استغلالها وعرضها دوماً بالطرق نفسها، المكررة والمملة.

من يربح من تجارة التعري؟ الرأسماليون، الشركات والأفراد الساعون وراء المال السريع، الشركات التي لديها ميزانيات إعلانية هائلة. وكما أشار جايل دينس، بلغت صناعة التعري في عام 2006، 96 بليون دولار أميركي، استحوذت الولايات المتحدة الأميركية وحدها على 13 بليون دولار منها (2010، ص47). ينمو هذا السوق نمواً بالغاً كل عام، واليوم، بعد ثماني سنوات من 2006 سيكون الرقم أكبر. وعلى الجانب الفردي، ينتفع الرجال لأنهم يكسبون شعوراً بالقوة أو شعوراً بالرفاقية مع أصدقائهم (ستارك وويسنانت، 2004).

أي شكل لهذا النظام الاجتماعي الذي يسمح لجماعة (النساء) بالتعرض للاستغلال على يد جماعة أخرى (الرجال)، مع وجود داعمين بين تقدميين يعتبرون أن تجارة التعري ما هي إلا «مجرد تسلية جيدة» تساعدنا في ضمان استمرار دور النشر؟

لا صناعة التعري، ولا العنصرية، ولا أي نوع آخر من الكراهية

المؤسساتية يمكن أن يكون جزءاً من التنوّع الحيوي لصناعة النشر. تماماً كما تذلّ العبودية العبد ومالكه، تمضي تجارة التعري والدعارة بالطريقة نفسها. (تانكارد ريست وبراي، 2011؛ كاشو، 2012).

يُبنى تنوّع النشر على احترام الآخرين، على التوازن الديناميكي في المجتمع، وعلى رفض الثقافات الأحادية. التعري، العنصرية، الجنسية، الخوف من المثلية الجنسية، وكذلك التمييز بين البشر بناءً على الدين، العرق، الإعاقة، العمر، الطائفة، الطبقة الاجتماعية، والجنس، جميعها تنبع من عدم احترام الآخر، وفي أقوى حالتها، من كراهية الآخر. وتحت نظام كهذا، لا يمكن تحقيق توازن ديناميكي. بشكل مشابه أيضاً، تعمل الثقافات الأحادية على استبدال الأنظمة الطبيعية التعددية، بالطريقة نفسها التي تَستَبدِل فيها مشاهد التعري نظاماً متنوّعاً يعترف بالتجارب المختلفة لأناس لا تنطبق عليهم مواصفات النموذج السائد لذكرٍ شاب، يميل إلى النساء، يتنقّل بين الأمكنة، وينتمي إلى طبقة وسطى. وكما يجري نقد «التبييض»، يجب إعادة النظر بـ«الذكورية» ودعم المؤسسات للذكورية[15].

15- لمراجعات تتعلق بنقد العنصرية والتبييض يمكن النظر إلى موريسون (1993)، جينسن (2005)؛ ولنقد يتعلق بالذكورية، يمكن النظر إلى ستولينبيرغ (1990)، جينسن (2005)، باري (2010).

8

تجارة حرة وتعبير حر

كلمة بكلمة، تؤسس «هن» نفسها موضوعاً مستقلاً
وذا سيادة. عندئذ فقط يمكن أن تظهر «هو/هم»
مقطّعة خارج اللغة وأخف وطأة.

مونييك ويتيغ، *«علامة الجنس» في العقل المستقيم*
وموضوعات أخرى (1985. ص85)

Monique Wittig, *'The Mark of Gender' in The Straight Mind and Other Essays* (1985, p. 85)

هناك ملاحظة مثيرة للاهتمام، غالباً ما يكون أنصار حرية التجارة هم أنفسهم أنصار حرية التعبير. لكن كلمة «حر» هي كلمة غامضة، وفقط السياق الذي ترد فيه يحدد ما إذا كان «حر» له أي علاقة بـ«الحرية» أو «متاح للجميع». ففي حالة «حرية التجارة» نجد استغلال الفقراء، والمُستعمَرين، والأقل قوة مستقراً عند جذر كلمة «حر». بالمنطق نفسه يبدو مصطلح «حرية التعبير»

غير ضارّ، وفي الواقع فإنه يتم استعماله بشكل مستمر ليبدو مهماً سياسياً لتحقيق الحرية الاجتماعية، لكن عندما ندقّق النظر فنرى أن، حرية «من» تلك التي نعتبرها مهمة، هي التي تعتبر العامل المحدد ما إذا كانت تمثّل فكرة «الحرية» أم لا.

ضمنت اتفاقيات حرية التجارة ألا تكون هناك أية عوائق في وجه الاقتصادات القوية لتتاجر بما تشاء في الوقت الذي تشاء. الاقتصادات الصغيرة تُرِكَت في ظروف مضنية وغدت معتمدة على الشركات التجارية. باعتباري ناقدة منذ أمد بعيد لاتفاقات التجارة الحرة فإني مهتمة لا بتأثيرات ذلك على الاقتصاد فقط، بل وعلى اللغة المستخدمة في هذه المعاهدات.

> تُعتبر لغة مثل «تجارة حرة» و«اختيار حر» مضلِّلة في تقديم فكرة «الحرية» التي تأتي دوماً مجدولة مع المسؤولية. ففي واقع الاقتصاد الكلاسيكي الحديث، والعولمة، وحرية التجارة التي تتغنى بها الشركات العابرة للقوميات، لا يوجد علاقة أبداً بين الحرية والمسؤولية. في عالم التجارة العالمية، والشركات العابرة للقوميات، تلعب حكومة الولايات المتحدة الأميركية ومؤسسات مثل منظمة التجارة العالمية، لعبة حرة وغير مسؤولة. لأنه كلما جُلب لاعبون أكثر قوة لوضع القواعد، مالت أرض اللعب ولم تعد مستوية، وكذلك كلما تغيّرت نقاط اللعبة أيضاً (هاوثورن، 2003a، ص29).

لم يتغيّر شيء للأفضل منذ كتابتي لتلك الكلمات، في الواقع،

إن كان هناك تغيّر ما قد حصل فهو ما ساهمت به الأزمة المالية عام 2008 بجعل أرض الملعب أكثر ميلاً. يندر أن نجد من يتكبد عناء تسجيل النقاط كما سبق، لأن ذلك سيجعل الأمور بالغة الوضوح من أن الرابحين يحصلون على كل شيء. في الواقع، يبدو أن «رأسمالية الكارثة» قد أصبحت نموذج العمل المُفضَّل (كلين، 2007).

استنسخ مجال النشر نموذج التجارة الحرة هذا من خلال زيادة حجم شركات دور النشر ومتاجر الكتب العملاقة. «موندادوري Mondadori» هي أكبر دار نشر في إيطاليا وتملكها «فينينفيست Fininvest»، الشركة العائلية التي تعود للرئيس الإيطالي السابق، سيلفيو بيرلوسكوني Berlusconi. ابنته مارينا بيرلسكوني هي الرئيسة. التقاطع بين القوة السياسية والنشر لا يعتبر شيئاً طارئاً، كما أظهر روبرت مردوخ Rupert Murdoch بتدخله في الإعلام في المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، وأستراليا. يمثّل هذان المثالان أسوأ التجاوزات لما يدعى بالتجارة الحرة والتعبير الحر. وأقول «ما يدعى» لأنه في كلا المثالين كانت هناك حالات كثيرة من التدخل في تجارة الآخرين وتعبيرهم.

تجلت صناعة الدعارة ومشاهد التعري كمُدافعٍ عتيد عن حريات التعبير: المموّلون لما يدعى الحرية الجنسية. في الحقيقة، فإن هذا الدفاع، الذي عادةً ما نسمعه في الولايات المتحدة الأميركية حيث يصون الدستور حرية التعبير، هو دفاع في الواقع عن ضمان حريتهم في استغلال، وبيع، والتعامل بوحشية مع الناس الذين تمّ

إقحامهم في صناعة الدعارة (أغلبهن من الإناث). وحين تنتقد النسويات صناعة التعري، يقال عنهن إنهن يقمن بالحد من حرية التعبير للمتعرّين. الناطق باسم هذه الصناعة هو «تحالف حريات التعبير Free Speech Coalition»، أُنشئ عام 1991 لحماية صناعة ترفيه البالغين ومشاهد التعري من تضييقات «حرية التعبير». وفي إعلامهم ونشراتهم الصحفية، يستخدمون لغة الحقوق والحريات المدنية، وهو ما يمثّل تشويهاً كاملاً لهذه الأفكار، التي كان وما زال يستخدمها الضعفاء لقتال الأقوياء. لقد حدث الآن عكس المعنى تماماً.

وإذا ما حاول المُشَرّعون والفلاسفة النظر بعين الاعتبار إلى الحجج النسوية المنطقية والأخلاقية من الناحية الاجتماعية، آخذين بالحسبان هنا المفهوم المفيد جداً لـ«عدالة التعبير» (ماكليلان، 2010)، فإنهم لن يجدوا أنفسهم يدافعون عن مستغلي «حرية التعبير» فقط، لأنهم خائفون جداً من مخالفة التعديل الدستوري الأول لدستور الولايات المتحدة الأميركية، الذي يضمن حرية التعبير.

«للناس الحق في أن يكونوا متعصبين»، أعلن المدعي العام الأسترالي جورج براندیز في مجلس الشيوخ في 23 آذار، 2014 (هاريسون وسوان، 2014). كان يدافع عن طلب نقض تقدّمت به الحكومة التقدمية للفصل c18 من إعلان التمييز العنصري[16].

16- في عام 2011، حوكم الصحفي أندرو بولت Andrew Bolt، من الجناح اليميني لخرقه قوانين تشويه السمعة العرقية، تحت الفصل c18 من إعلان التمييز العنصري.=

يحمي هذا الإعلان كل الذين يتعرضون للاعتداء، أو الإهانة، أو الذل، أو التهديد، بناءً على أساس عرقي (ComLaw, 2013).

ومع أن موضوع قوانين التعبير قد حظي بتغطية إعلامية متميزة في أستراليا، إلا أنه من المحزن أن معايير النقاش رخوة جداً، وأفضل ما يقال إنه إذا أُلغي الفصل c18 من إعلان التمييز العنصري أو عُدّل، فإنه سيكون هناك مزيد من الإساءة للذين يتعرضون أصلاً لخطاب الكراهية. بدلاً من خلق نقاش إشكالي حول «حرية التعبير»، يدّعي براندیز وآخرون حقهم في التعصب الأعمى. حرية أن يكون المرء متعصباً تُمنَح أسبقية على الإنصاف في العلاقات الاجتماعية. ولو أن مفهوم «عدالة التعبير» عُرض في الحجج المُساقة، لتغيّر شكل النقاش. الإنصاف والعدالة يجب أن ينالا الأسبقية.

= محاموه، ومن بعدهم جورج براندیز، جادلوا بأن المعلّقين الإعلاميين يجب أن يمتلكوا حرية أكبر للتعبير. تعرّض موقفهم للتحدي من قبل مجموعات السكان الأصليين، اليهود، المسلمين، وتجمعات المهاجرين حول البلاد. كما تعرّض للنقد من قبل الحركات النسوية، المعاقين، المثليين والمتحولين جنسياً، ومنظمات حقوق الإنسان.

9

تجارة عادلة وتعبير عادل

قليلون هم الذين يتخلون عن علاقات القوة. حتى الضعفاء يتشبثون بفكر القوة، على أمل أنه ما دامت الفكرة موجودة فإنه سيكون لديهم الأمل بالهرب من حالة الضعف من خلال الوصول بطريقة ما إلى القوة. بالطبع، ما دام الإطار الفكري للـ«قوة» ينال قيمة (خاصة إذا ما تمّ منح هذه القيمة من قبل الضعفاء) فإنه لن يكون لأيٍّ منا أي قدر من الأمل.

تي ـ غريس آتكينسون، *آمازون أوديسي* (1974، ص22)

Ti-Grace Atkinson, *'Amazon Odyssey'* (1974, p. xxii)

هناك طريقتان لمقاربة مفهوم العدالة: الفعل المبني على «عدالة الفرصة/تكافؤ الفرص»، والفعل المبني على «العدالة في النتائج/المخرجات».

في الأنظمة القضائية المتحررة يبذل قسط وافر من الجهد لخلق تكافؤ الفرص. هذا يعني أن الوظائف مفتوحة للجميع ما دامت لديهم المؤهلات (التي هي ضمناً مرتبطة بنظام التمييز). المقموعون غالباً ما يتعرضون للخذلان في نظام عدالة الفرص، لأنه فيما يدخل الجميع من الباب نفسه، فإن أولئك الذين ينتمون إلى المجموعة المسيطرة يكونون أكثر حظاً في الوصول إلى الطرف الآخر من الغرفة بشكل أسرع. في حال الرجال والنساء، سيكون الرجال أكثر حظاً في الحصول على وظائف، و لديهم فرص أكثر في تلقي ترقيات وظيفية بشكل أسرع من أي امرأة أخرى في منصب مماثل (إذا افترضنا أنها أصلاً كانت قادرة على الحصول على المستوى نفسه من التعليم والمؤهلات).

يبدو لوهلة أن تكافؤ الفرص يقدم شيئاً ما للتخفيف من وطأة الظلم/عدم المساواة، لكن، في الحقيقة، فإن كل بُنى التمييز تستمر في المحافظة على عدم العدالة بين البشر. كي يتحقق تغيير هذا الوضع، يجب استخدام التكافؤ في المُخرجات/النتائج. لكن، كما يقول المُعتَذِرون عن اللامساواة، سيكون هذا غير عادل. من الغريب أن الذين يثيرون هذه الحجج يمكن رؤيتهم يتوجهون لحضور سباقات رياضية متبنّين مسبقاً فكرة «الإعاقة» في حالة سباقات الخيل. لماذا؟ لأنك لو تمكنت من معرفة أي الخيول ستربح، فإن أحداً لن يزعج نفسه بالذهاب للسباقات، وماذا سيحلّ بصناعة القمار حينذاك؟

يضمن التكافؤ في النتائج عدم التأكد ممن سيحصل على

العمل. كما أنها تستخدم في أولمبياد المعاقين لضمان مساواة في الفرص بين الرياضيين ذوي المقدرات المختلفة. وإذا ما استُخدم تكافؤ النتائج في ميدان القوى العاملة، فإن أولئك الذين ينتمون إلى مجموعات إثنية غير مسيطرة، النساء، الفقراء، المعاقين، وكذلك المسنين والشبان، ستكون لهم فرص أفضل في الحصول على أعمال.

في صناعة الأدب، تقدّم بعض الدول منحاً للناشرين لدعمهم في نشر أعمالهم. هذه هي الحالة في أستراليا حيث يقوم «مجلس الفنون الأسترالي Australia Council for the Arts» بتقديم مِنَح لدور النشر التي تنشر أعمالاً أدبية لكتّاب أستراليين. ولدى الناشرين متعددي القوميات فرص متكافئة للتقدّم إلى منح مشابهة ونيلها، رغم أن دخلهم قد يكون أكبر بمئات المرات من دخل الناشرين المستقلين الصغار. لا يؤخذ هذا بعين التمييز. إن قواعد المنظمة العالمية للتجارة تعني أنه يجب ألا يكون هناك تحيّز ضد الشركات حين تقدّم الحكومات مساعدات، ما لم تكن الحكومة قد وضّحت ذلك في قواعدها[17].

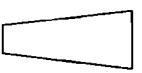

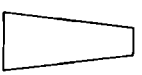

17- لقراءة أوسع حول منظمة التجارة العالمية، يمكن الاطلاع على هاوثورن (2002)؛ ولمزيد حول الاتفاقية العامة للتجارة والخدمات (غاتس GATS) يمكن الاطلاع على هاوثورن (2005).

ما علاقة هذا بالنشر؟ تأتي الصلة من خلال نقاش حريات التعبير. ما يُدعى عادةً بـ «حرية التعبير». غالباً لا يعني أكثر من قدرة الأقوياء على التحدث عن وجهات نظرهم بصوت مرتفع وقوي، وبالتالي إغراق وجهات نظر أولئك الذين لا يراد سماع أصواتهم، وآرائهم، وحريات تعبيرهم.

ترسم بيتي ماكليلان Betty McLellan في «ما لا يقال» (2010) توازيات بين التجارة الحرة/ التجارة العادلة، وحرية التعبير/ عدالة التعبير. بشكل مختصر نقاطها الرئيسية هي:

تجارة حرة / تعبير حر: تفضيل للقوة.

تجارة حرة / تعبير حر: تعزيز الظلم.

تجارة حرة / تعبير حر: تركيز على الفرد.

تجارة حرة / تعبير حر: تجاهل جودة الحياة. (ص52-58)

لا تبني ماكليلان بشكل محدد المحور المعاكس، لكن نتائج أفكارها هي:

تجارة عادلة / تعبير عادل: لا مركزية القوة.

تجارة عادلة / تعبير عادل: تعزيز العدالة والمعاملة المتكافئة.

تجارة عادلة / تعبير عادل: تركيز على المصلحة العامة والمشاركة.

تجارة عادلة / تعبير عادل: توضيح لأهمية الحياة وأولويتها على الأرباح.

تتناغم حجج ماكليلان في النقاش مع فكرة تنوّع النشر، لأن التعبير المتكافئ أو عدالة التعبير تعزز احتمالات سماع أصوات المُهمّشين أو قراءتها. كما أشير من قبل يُعيد «النشر الضخم» بشكل عام نشر صيغ من الأعمال التي لاقت رواجاً، مع نشر أصوات مختلفة في حالات قليلة. الناشرون المستقلون، الذين هم مستقلون حقاً ولا يتلقون دعماً من مؤسسات تجارية، أو تعليمية، أو دينية، أو أية صيغ رعاية مرتبطة بما يمكنهم قوله، يقومون بنشر الأصوات المُخاطِرَة، المُبتَكِرَة، الجدلية، المُهَمَّشة، والمُتَخَيّلة.

عدالة التعبير هي بدقة ما يعنيه الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين حين يقول:

> نُعلِن على الملأ تضامننا مع كل زملائنا الناشرين/ الناشرات، مع الكُتّاب، ومع كل الذين يمتهنون العمل في مجال الكتاب، والذين يتعرضون/يتعرضن حتى اليوم لمعاناة التخويف والعنف النفسي أو الجسدي، أو تهديد السجن جميعها تهدد عملهم، وربما تهدد حياتهم/ حياتهن. كما نشير إلى تطور صيغ رقابية أقل مباشرةً سواء نتجت عن بيروقراطية (إغلاق حدود، ضرائب اعتباطية)، أو أسباب قانونية أو مالية، أو تلك التى تبرز من آليات الرقابة الذاتية. كما تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر ظاهرة التمركُز والتجارة في قطاع نشر الكتب، والإعلام والاتصالات في تعزيز أو إحياء لصيغ من الرقابة (2007، ص7).

تماماً كما يحافظ تكافؤ الفرص على الوضع الراهن، فإن التجارة الحرة في اقتصاد مُعَولَم تعمل هي الأخرى بشكل هائل لمصلحة أولئك الذين لديهم أصلاً موارد عالمية. إن قدرتهم على التجارة بشكل حر تدعمها اتفاقيات عالمية طورتها لمصلحتهم اقتصادات ضخمة.

وحين يجري اللجوء إلى حرية التعبير من قبل روبرت مردوخ أو من يعمل في صناعة مشاهد التعري، فإن ذلك يؤدي إلى كتم أصوات من لا يملكون امبراطوريات إعلامية تقف وراءهم. يجري إغراق أصوات النسوة اللائي يُحوَّلن لامتهان الدعارة؛ ما تُدعى بنقابات تعمل ظاهرياً باسم العاهرات تبين أنّ جلّ أعضائها من القوادين ومُلّاك النُّزل المخصصة للدعارة (إكي إكمان، 2013، ص59-78). ما هي الصناعات الأخرى التي تمتلك موظفين من قلبها يديرون نقابات؟ هذا يحدث طبعاً، لكن حين يُطلق النداء لتوضيح ذلك، نادراً ما تتم المساندة.

إن تحليل عدالة التعبير يجب أن يأخذ في الحسبان تأثيرات كتم الأصوات. الرقابة لا تقتصر على إعدام كلمات الكتّاب والفنانين ومنعها، وسجن من يتفوهون بكلمات متمردة وتعذيبهم أو حتى قتلهم. إنها تتجسد في عالم التكييف الاجتماعي. في «التعري والصمت» (1982) توضّح سوزان جريفين Susan Griffin الصلة بين عنف التعري وصمت النساء. تجادل سوزان بأن الصمت داخلي بقدر ما هو خارجي.

وهذا هو الحال بالنسبة للشعوب المُستَعمَرَة بشكل عام.

تضع جودي آتكينسون Judy Atkinson (2002) ملامح صدمة الأجيال التي تُلحَق بسكان البلاد الأصليين من قبل المُستَعمِرين، والتي تُتناقل من جيل إلى آخر. يألف أيضاً أبناء الطبقة العاملة أنواعاً مشابهة للصدمة المتوارثة بين الأجيال، وكذلك الشعوب التي هُمّشت بممارسة الكراهية ضدها (في عالم سيطرت عليه المسيحية، عانى المسلمون واليهود من هذا القَدَر).

كي تتمكن صناعة النشر من تعزيز تنوّع النشر يجب أخذ ما سبق في الحساب. وغاية هذا القول أن أصوات النساء يجب أن تُسمَع، تماماً مثلما يجب أن تُسمَع أصوات أولئك الذين هُمّشوا تاريخياً: المُستعمَرين، الفلاحين، والعمال. كما أشارت ماريا ميس Maria Mies وزملاؤها ببصيرة في 1998:

> فهمنا أن مسألة المرأة مرتبطة بمسألة الاستعمار، وكلاهما مرتبط بنموذج المراكمة المُسبيطر، العالمي، الرأسمالي الأبوي، هو شيء لم يُشرِق علينا ولا ظهر في دراساتنا فجأة. إدراكنا للعلاقة المنتظمة بين هذه الأسئلة هو نتيجة سنوات طويلة من الخبرة في العالم الثالث (في الهند وأميركا اللاتينية) والانغماس في صراعات المرأة في أوروبا. (ميس، بينهولدت ـ تومسين وڤون فيرلوف، ص1-2).

تنمو صناعة النشر على الأصوات الثانوية المهمشة[18]، لأن

18- الرابحون لجوائز البوكر Booker، ومان بوكر Mann Booker يقدمون دليلاً =

أولئك الذين يوجدون على الهوامش ـ كبذار برية ـ لديهم طاقة فكرية جديدة للمجتمع. لكنها غالباً ما تكون قصيرة العمر، دارجة، وبعض الأحيان غرائبية (هاوثورن، 1989) أو صادمة. والأكثر تحدياً هو احتمال سيطرة هؤلاء المهمشين أنفسهم على وسائل الإنتاج. هذه هي نيّتنا بالضبط كناشرات نسويات. بينما تلعب النساء، في دور النشر الكبيرة، أدواراً متميزة في أقسام التحرير والترويج، إلا أن أدوارهن ما زالت بالغة المشقة ونادرة الحدوث في خلق توازن ديناميكي في مجالات مثل الإنتاج، الإدارة، التوزيع، التخزين، التكنولوجيا، والمبيعات.

تعوَّد الناشرون الاعتماد على مراجعات الكتب، خاصةً المراجعات المستفيضة التي تنشرها الصحف الكبرى ثم يتبع ذلك مقالات في المجلات المختصة بالأدب والشؤون الآنية. حين كنتُ أكتب المراجعات بشكل مستمر من منتصف حتى نهاية الثمانينيات، كان طول المراجعة المتعارف عليه للكتاب الواحد ما بين 800 - 1000 كلمة. تراجعت تراجعاً هائلاً مساحات المراجعات، ومع أن المدونات والإعلام الاجتماعي قد عوّضا بعضاً من هذا الإهمال إلا أن أهمية المراجعات تراجعت بشكل عام، وبدلاً من التوفر لقراء واسعي الطيف، فإن الإعلام الاجتماعي يستهوي أسواقاً محددة فقط. بالمقابل تكاثرت

= على ذلك. فبينما يوجد رابحون بريطانيون للجائزة، إلا أن عدد الرابحين من المستعمرات البريطانية السابقة يخلق أسواقاً جديدة لهذه الأصوات الخارجة عن المألوف.

الجوائز، لكن فقط عدد قليل منها يكون له تأثير محتمل على زيادة المبيعات. لطالما استعمل الناشرون المستقلون الإعلام المختص بفئات محددة لإحراز أثر جيد في الماضي، واليوم تعتدي المؤسسات المتعددة الجنسيات أثناء بحثها عن أسواق جديدة على هذه الوسائل الإعلامية المختصة. بشكل مشابه، تُعقَد اليوم المهرجانات في كل مكان، بنتائج متنوعة.

المثال المُناظِر لـ «التعبير العادل/تكافؤ التعبير» والذي يمكن تطبيقه على صناعة النشر هو نظام الموافقة الخاص بمجلس الغابات الذي يسمح بموجبه باستخدام شعارات FSC وPEFC في طباعة الكتب[19]. كي يحصل كتاب على شعار FSC أو شعار PEFC يجب الموافقة عليه قبل طباعته. هذا لأن نظام «الحِراج العادل» يميّز أهمية منع الاستخدام التبذيري للموارد لإنتاج إعلانات مطبوعة واسعة النشر ـ بريد، كتالوجات لبضائع بالغة الاستهلاك، ومواد مطبوعة أخرى يرى مجلس الغابات أنها غير مناسبة. غالباً، لن يمر وقت طويل قبل أن تعلو صيحات معادي البيئة التي تدعي أن هناك تمييزاً في المعاملة، مع أني أتساءل ما هي الحجج التي سيسوقونها لتبرير استخدامهم المفرط للغابات النادرة من أجل استهلاك مُسرِف لمواد غير ضرورية وغير اقتصادية.

19- FSC هي الحروف الثلاثة الأولى لمجلس أمناء الغابات باللغة الإنكليزية وPEFC برنامج دعم شهادة الغابة. كلاهما برنامجان بيئيان يهتمان بتقليص النفايات وكذلك الحراجة غير المستدامة للغابات. الأول هو نظام قوي، والثاني هو نظام الشهادات المستخدم من قبل عدد كبير من مُلّاك الغابات.

يدعو الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين في إعلان باريس جميع الناشرين لأخذ البيئة بعين الاعتبار: «إننا واعون، أننا في صراعنا من أجل حقوقنا وإصرارنا عليها، فإن علينا أن نؤكد واجباتنا ومسؤولياتنا ـ سواء أكانت ثقافية، اجتماعية، أو بيئية» (الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين، 2007، ص7). مع هذا، يتعيّن على الناشرين في الدول الفنية، أن يعوا أن أولئك الذين يعملون في دول فقيرة قد لا يكون لديهم دوماً القدرة على الوصول إلى استخدام ورق بيئي مستدام.

«التعبير العادل»، «التجارة العادلة»، «الحراجة المستدامة»، «الكتاب العادل»[20]، كلها مصطلحات تضع العدالة والتكافؤ في قلب اتخاذ القرار.

عواقب «أخلاقية التعبير» (ماكليلان، 2010)، أو بشكل أدق، أخلاقية التعبير العادل، هي عواقب جدية على الناشرين. وإذا ما أُتيح للتعبير العادل، والتجارة العادلة، إمكانية أن تكون في مركز اهتمام قطاع النشر، فإنه لن يكون لدينا فقط نظام عادل في موضعه، بل أيضاً سيحصل المؤلفون على استماع أكثر عدالةً؛ سيكون هناك صوت للمؤلفين الذين لديهم أشياء جديدة أو مختلفة يقولونها؛ وسيتمكن الناشرون المستقلون من صفقات أكثر عدلاً بدلاً من دفعهم للهوامش؛ وربما سيعود القراء إلى عالم

20- هذا المصطلح مُستخدم من قبل الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين للإشارة إلى التحرير المشترك، والترجمات بين أعضاء الاتحاد حيث يتم تقديم الدعم للمساعدة في إثمار المشروع.

مستقل ومزدهر من متاجر الكتب حيث يمكنهم أن يجدوا كتباً ليست من لون واحد ليقرؤوها، كتباً توسّع آفاقهم[21].

21- أحد مراجعي الكتب ممن أخذوا هذه المهمة على محمل الجد هو «م. دي. برادي .M D Brady»، الذي تحفل مدونته «أنا، أنت، والكتب» بمراجعات لكتب من حول العالم. كنتُ قد جربتُ شيئاً مشابهاً في العمود الذي كنت أكتبه بشكل مستمر مراجعات كتب النساء الأستراليات في مطلع التسعينيات.
http://mdbrady.wordpress.com/

10

إعادة الاستعمار

جعل الدولة آمنة للشركات التجارية المتعددة القوميات يعادل جعلها آمنة للعلاقة بين الجنسين، كلاهما يوسم بأنه طبيعي، بل خارق الطبيعية. هكذا تصبح السياحة والإمبريالية جوهرية للنظام الطبيعي كما هي علاقة الجنس بالجنس الآخر، ولا غنى عنها في استراتيجيات الدول لإعادة الاستعمار.

م. جاكي أليكسندر، *آليات تعليم التقاطعات* (2005، ص26)

M. Jacqui Alexander, *Pedagogies of Crossing* (2005, p. 26)

لم تفتح «الثورة الرقمية» الأبواب في وجه اللاعبين الصغار فقط، بل خلقت فرصاً لدور النشر العملاقة، ومتاجر الكتب

الكبرى لتتمكن من إعادة استعمار من تمكنوا من تحرير أنفسهم ومجتمعاتهم خلال القرن الماضي. التحرر من الاستعمار عنى التخلص من التذلل الثقافي، وتنشيط الناس والثقافات المُحرّمة، وبضمن ذلك اللغات التي منعها المُستَعمِرون والاحتفال بها. قاتلت لغات سكان البلاد الأصليين، على سبيل المثال، لتتمكن من نشر كلماتها من قبل الذين يحترمون معانيها وسياقاتها. هذه معركة خيضت في إفريقيا، جنوب أميركا، في أراضي الباسك، من قبل المستعمَرين في كل مكان، وفي المستعمرات الناطقة باللغة الإنكليزية، في أستراليا، كندا، الولايات المتحدة الأميركية، جنوب إفريقيا ونيوزيلندا. المثال الحديث على ذلك في الإعلام الأسترالي هو البحث في كلمتي «يحلم» و«وقت الحلم» (نيكول، 2014). نقاش نيكول Nicholls يتمركز حول تشويه جوهري للمعنى الأصلي الذي كان يُعبّر عنه بطرق مختلفة في 250 لغة على الأقل في أستراليا ما قبل الاستعمار. هذا السوء في الاستخدام لديه انعكاسات على الطريقة التي من خلالها يتم إدراك المجتمعات البدائية وفهم أفكارها ومفاهيمها. ويجري استهداف بعض اللغات بوصفها لغات الإرهابيين ـ عانت لغات الباسك من هذا القَدَر. وفي أماكن أخرى من العالم النامي، يوضّح الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين أن:

> الكتب باللغات الإفريقية لديها سوق متوقع واسع. لكن، بعض المُعيقات تقلّص تقليصاً كبيراً حجم سوق القراء هذا، من بين تلك العوائق، معدلات انعدام التعليم

المرتفعة، غياب عادات القراءة، القوة الشرائية المنخفضة للقراء المُستَهدَفين، وانخفاض الوفرة والحضور البصري للمنشورات (2013b).

توافر الكتب باللغات المحلية والقومية هو موضوع شاغل للمُستَعمَرين حول العالم. الاستعمار إرث ثقيل يصعب رميه، لأن البنى التحتية وُضِعَت لتسمح بمساندة من هم أصلاً أقوياء. يمكن استخدام الإعلام والتعليم للشر أو للخير. على سبيل المثال، عند الانهماك باتفاق توزيع، مع اللاعبين الكبار في العالم الرقمي، تكون التوقعات التعاقدية أن يتم التوزيع بشروط هي في مصلحة الشركات العملاقة. في سوق اللغة الإنكليزية يتجلى ذلك بعقود تضع الولايات المتحدة في قلب الاهتمام دون الالتفات للأسواق الأصغر الواقعة خارج سوق النشر العملاق للولايات المتحدة.

في إفريقيا، احتجّ الناشرون المستقلون على إغراق الكتب في أسواقهم. على سبيل المثال، في الغابون، الكاميرون، مالي، نيجر، الناطقة بالفرنسية يحدث الإغراق بكتب باللغة الفرنسية الرسمية، بحجة تقديم مواد قراءة للأطفال الفقراء ذوي الحاجات الماسة ولمدارسهم أيضاً؛ الكتب المكتوبة، مُنتَجة، ومنشورة باللغة الفرنسية، يتم «التبرع» بها. أما الناشرون الصغار والمحليون فإنهم لا يقدرون على التبرع بالكتب للمدارس بشكل واسع، كنتيجة لهذا، يتم استبعادهم مما كان ليعتبر مصدراً هاماً للدخل، يضمن بقاء الناشرين المحليين الذين نموا في الديار ويمتلكون المعرفة المحلية (الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين،

2013a). أكثر من هذا، فإن العالم النامي يجري إغراقه بالكتب السهلة والرائجة، بطريقة تشبه إغراقه بالمنتجات التي يرفضها الغرب، كالسجائر، والأدوية غير الفعالة والخطيرة.

في البرازيل، ما قد تبدو على أنها تبرعات اجتماعية للكتب، من قِبل المصارف، هي في الواقع ليست أكثر من مجرد أداة تسويقية، فالكتب ذات نوعية سيئة جداً. وهو ما يؤدي لـ«تبرع» بكتب ممزقة وبالية. وبدلاً من أن تشتري المصارف/البنوك، كتباً جيدة لتتبرع بها للمكتبات فإنها تنفق الملايين على الحملات الإعلانية. أكثر من هذا، فإن من تحديات التوزيع، أنه غالباً ما لا يتم دفع مستحقات الناشرين. وبدلاً من ذلك، يحصل الناشرون للكتب التعليمية والمدعومون بشكل هائل، على الحصة الأكبر من قالب الحلوى (Araken Gomes Ribeiro, 2013 ,pers.comm).

هذه الأفعال هي لعنة لروح تنوّع النشر. على العكس، كما أعلن الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين، «يضمن الناشرون المستقلون تنوّع الأفكار وانتشارها، وهذا ما فهمه اللاعبون الحقيقيون والمدافعون عن هذا التنوّع الثقافي ضمن عالم النشر» (2007، ص4).

لا يتعلق تنوّع النشر فقط بالأرقام، إنه متصل أيضاً بالنماذج والعمليات. وهو لا يتعلق فقط بإنتاج الكتب بطريقة مختلفة، بل هو متعلق بسياق اجتماعي مختلف كلياً للأفكار. التعبير الحر للأفكار يحتاج إلى موازنة في مقابل المصلحة العامة (روي، 1999؛ ميس وبينهولدت تومسين، 1999؛ شيفا، 2012). مفهوم التعبير

العادل/المتكافئ (ماكليلان، 2010) يمكن له أن يساعدنا في إيجاد نقطة التوازن تلك.

تماماً كعلم البيئة، النشر هو جزء من نظام مُعقد يستجيب لتغيّرات القوى حول العالم. يتمتع الناشرون المستقلون بموهبة في توقع التغيّرات الثقافية. ذلك لأنهم يُبحِرون على الخط الخارجي السريع للنهر الثقافي بينما يُجَدّف الناشرون الكبار في المياه الضحلة.

يقع مجال النشر على تقاطع طرق. لدينا اليوم إمكانية الوصول إلى عمليات طباعة رخيصة نسبياً تسمح للناشرين العمالقة، مثل بينغوان راندوم هاوس Penguin Random House، هاشيت Hachette، موندادوري Mondadori وآخرين، بإغراق السوق بكتبهم. لكن عمليات الطباعة هذه نفسها تسمح للأصوات المهمشة بالكلام. هذا ما أثبته التزايد الهائل في نشر طبعات لكتب بعدد محدود من النسخ، ونشر الشعر رقمياً. ثم إنّ النشر الذاتي، في تقاليد الحداثيين، بات متوافراً اليوم أكثر من أي وقت مضى. بالتناغم مع هذه التغيّرات في الإنتاج، فإن التوزيع الرقمي لصوتٍ واحد يمكن له أن يحقق انتشاراً عالمياً. وكما يشار إليه من قبل سونيتي نامجوشي Suniti Namjoshi في الـ1996 يمكن اليوم للكاتب أن يقول: «أنا أبثّ للعالم، ليس فقط تصويتي، بل صوتي، صوتي يُسمَع». لكن هناك مشكلة. «هل هناك أحد يستمع لبثّي؟» (ص14-15).

يمكن لشخص يملك وصولاً إلى جهاز كمبيوتر بناء مستمعين

دوليين من خلال المدونات، ومواقع الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي. ومع أن وصول هذا الفرد إلى الآخرين قد يكون نادراً، إلا أن صوتاً واحداً يمكن له الانتشار كفايروس بين المتلقين حول العالم.

لكن حتى النشر الذاتي تمّ الاستحواذ عليه هو الآخر، ومعظمه يقع اليوم في أيدي أمازون. يشتمل النشر التقليدي على عقد يتم الاتفاق عليه بين الناشر والمؤلف، ومع أنه كان هناك على الدوام العديد من الكتّاب الناقمين الذين وقّعوا عقوداً ندموا عليها في ما بعد، إلا أن الناشر كان مُلزماً على الدوام بالحصول على موافقة المؤلف لتغيير تلك الشروط. أمازون، على العكس من ذلك، تحتفظ بالحق في تغيير أي جزء من العقد، لأي سبب كان، وفي أي وقت، مع أي مؤلف وقّع عليه. يحتاج المؤلفون إلى إطلاع أنفسهم على مزالق هذه الأنواع الجديدة من العقود.

في مواجعة إعادة الاستعمار يجب أن نحمل في عقولنا كلمات آروندهاتي روي Arundhati Roy:

> يجب أن لا تقتصر استراتيجيتنا على مواجهة الإمبراطورية، بل على محاصرتها، وتجريدها من الأوكسجين، ووَسْمها بالعار، والسخرية منها. وذلك من خلال فنوننا، موسيقانا، أدبنا، عنادنا، فرحنا، ذكائنا المتقد، صرامتنا الواضحة ـ وقدرتنا على رواية قصصنا الخاصة، قصص مختلفة عن القصص التي تُغسَل بها أدمغتنا لتصديقها (2003، ص112).

قد نغرق جميعاً في النشر الرقمي الراكد إن لم نخلق الآن شبكاتنا للمساعدة في نشر أصوات النشر المتنوّع. هل بإمكاننا أن نجيب عن سؤال سونيتي نامجوشي عام 1996: «هل هناك أحد يستمع لبثّي؟». هل يمكن للمدونات، الكتب الإلكترونية، تطبيقات الـ iPad البرمجية، الألواح الإلكترونية، التغريدات على تويتر، الروايات الخيالية على الهاتف، مواقع الإنترنت، وعدد كبير من الإمكانيات الأخرى التي تتدفق إلى منازلنا وأماكن عملنا، هل يمكن لها أن تساعدنا على إسماع أصواتنا؟ الناشرون الصغار يتمتعون بميزة المرونة وقوائم أصغر من المطبوعات لتحويلها أو خلقها. من خلال مواقعنا على الإنترنت يمكننا جعل الأدب متاحاً مباشرةً لقراءنا ويمكننا التفاعل مع هؤلاء القراء[22]. أملي أن يمتد تنوّع النشر إلى هذا الفضاء الرقمي الجديد.

يجب أن نواجه مروجي الزبونية (مشتري واحد يتحكم بالسوق: عكس الاحتكار)، الموقع الذي تحتله أمازون، التي تشوّه ممارساتها سوق العمل (كون، 2014). تحدث مناوشات بين الناشرين الكبار ومنافذ البيع الكبرى. حين دخلت آبل السوق عام 2010 بدا كما لو أن ذلك سيشكّل تحدياً لـ مونوبسوني أمازون، لكن كما يشير بوب كوهن Kohn:

> كل شيء كان على خير ما يرام إلى أن قررت وزارة العدل، مدعومة بورقة تفصيلية قدّمتها أمازون، بإقامة دعوى غير طيبة النوايا ضد آبل وخمسة آخرين من ناشري

22- تبقى المشاكل مع التوزيع الرقمي. انظر ص94 أدناه.

الكتب الكبار لارتكابهم مخالفات تتعلق بالثقة التجارية. تمّت مخالفة الناشرين بعقوبة «تثبيت الأسعار» ـ لكن ليس لتثبيت أسعارهم: ولا كتاب رقمي تمّ تثبيت سعره من قبل المؤامرة المفتعلة من قبل الحكومة. كل ما فعله الناشرون، كما أوضحتُ في شهادة الخبرة الطوعية أمام المحكمة يومها، هو أنهم انتقلوا إلى النموذج القانوني لمتجر التطبيقات، هذا ما ألغى تشويه أمازون سوق الكتب الإلكترونية لمصالح أمازون الشخصية (2014).

المواقع المتضاربة للناشرين العمالقة والناشرين المستقلين تتطلب من المستقلين أن يمضوا على الحبل المشدود بين المرونة والتبني الباكر للتكنولوجيا الحديثة من جهة، والـ«حاجة» إلى توزيع واسع النطاق، وهو يقع بشكل كامل تقريباً في أيدي عدد من الشركات الأكثر قوةً ورأسماليةً في العالم من جهة أخرى.

نواجه في عالم النشر الدولي المعاصر قوة السوق الهائلة للاعب واحد: أمازون. تمتلك شركة أمازون قوة تشويهية، لا بوصفها المشتري المُتَحكِم ـ في الكتب والكتب الإلكترونية من الناشرين؛ بل أيضاً بوصفها البائع الأكثر قوة ـ للكتب وبضائع استهلاكية أخرى (احتكار). قوة السوق هذه لا تمثّل النموذج التنافسي الذي يفضّله الاقتصاديون الكلاسيكيون الجدد؛ بل، هي نموذج أقرب إلى قوة صناعة السكر في أميركا الجنوبية التي يشير إليها إدوارد جاليانو (1973) Eduard Galeano في استعراضه

لـ 500 سنة من تاريخ أميركا الجنوبية، أو لنموذج القوة في شركة شرق الهند في ظل حكم الاستعمار البريطاني، أو قوة مونسانتو Monsanto في صناعة التجارة الزراعية. إنها في الحقيقة مسألة إعادة استعمار أسواقنا وعقولنا.

11

تنوّع النشر الرقمي

يتعلق النشر المشترك بقابلية الحياة والنمو اقتصادياً. حين نتحدث عن النشر المشترك فإننا لا نعني بذلك فقط جعل كتاب ما أو مؤلَف ما قابلاً للنشر في الوقت نفسه حول العالم، بلغة واحدة أو عدة لغات، بل إننا نتحدث أيضاً عن الاقتصادات؛ اقتصادات فعل شيء كهذا، والنشر المشترك هو واحد من الطرق الموصلة إلى شيء قابل للنمو والحياة.

ريتو مينون، *«النشر المشترك للكتب النسوية»* (1990، ص102)

Ritu Menon, *'Coedición Simultánea de Libros Feministas'* (1990, p. 102)

تعكس طريقة عمل النظام الرقمي ـ بعكس النظام الصناعي ـ نماذج وعمليات عضوية. لكن تماماً كما استُعمرت واستُملكت

معارف السكان الأصليين والتقليديين من قبل «شركات الأدوية الكبرى» بغرض تحقيق الأرباح، فإنه يمكن أيضاً استملاك النظام الرقمي لشركات تجارية وتشويهه، وتحويله، وخاصة من قبل «دور النشر الكبرى». في الواقع، هذا ما يحدث تماماً حالياً.

الرقمي، أولاً وقبل أي شيء، هو نظام من الشبكات ـ تمثّل هذا أنظمة الإنترنت وشبكات العمل الاجتماعية. ومع أني لست «عقلاً تكنولوجياً» إلا أني استطعت أن أرى تأثير الوصول الميّسر للهواتف النقالة على حياة عديد من الناس في الهند وبنغلادش. يستخدم الناس الذين يعيشون في فقر التكنولوجيا بطرق مختلفة. في مجتمعات السكان الأصليين البعيدين في أستراليا، يَسمَح الوصول لأجهزة الكمبيوتر بالتواصل عبر الصحارى. في إندونيسيا القروية، تستطيع امرأة مُسنَّة أن تتواصل مع أقرباء لها في قرية أخرى بأن تطلب من ابنها إرسال بريد إلكتروني لهم. ويمكن لصبية في الهند أو نيجيريا الوصول إلى كتب إلكترونية على جهاز هاتفها المتنقّل/موبايل.

يتكاثر الناشرون الصغار بين الناشرين العمالقة كالنباتات الخضراء الصغيرة التي تنمو من شقوق إسمنتية. بعضهم سينمون وسيصبحون ناشرين متوجهين لمجموعة اجتماعية معيّنة أو موقع جغرافي ما. من خلال التشبيك والتواصل يمكن لهذه المواد أن تصل إلى جمهور أوسع. مع وجود جيل جديد من المواطنين الرقميين، سيصبح النشر الرقمي هو المعيار. حالياً، عدد قليل من الناشرين يعلنون أن أكثر من 20 بالمئة

من مبيعاتهم مصدرها رقمي، بينما ما زالت الـ80 بالمئة من المبيعات، مطبوعات. يصعب تحديد الإطار الزمني الذي سيأخذ خلاله هذا التغيير مداه، لكني أشك أن تنقلب هذه الأرقام في بعض الأسواق خلال العقدين القادمين.

هناك حالياً بعض الناشرين الذين لا ينشرون إلا رقمياً. لكن الكتب المطبوعة ستستمر، ليس لدي أدنى شك في هذا: الكتب كهدايا، مستودعات معرفة للتأمل، روايات تُصطَحَب إلى الشاطئ، كتب مصوّرة في أيدي الأطفال، وشِعر؛ كأشياء فارهة للدلال.

ما يبقى مهماً، بصرف النظر عن وسائل الإنتاج أو القراءة، هو المحتوى ـ هذا صلب تنوّع النشر وقطاع الأعمال المركزي للناشرين المستقلين.

إذا تناقص «الموزعون العمالقة» ـ وهناك تزايد مستمر في تمركّزهم في عدد أقل وأقل من الشركات، وبضمن ذلك تلك العابرة للّغات ـ إلى عدد قليل من اللاعبين، ستتلاشى مزايا التشبيك للاعبين الصغار[23]. البعض سيقوى على النجاة اعتماداً على ولاء الزبائن المؤقت، لكن الولاء يميل للارتباط بالأجيال وهذا أيضاً سيتبدل بمرور الوقت.

لهذا من الأهمية بمكان أن يلاحظ المستقلون من الكتّاب، والناشرين، والفنانين، والمصممين، والوسائل الإعلامية،

23- في 14 آذار/مارس، أعلنت أمازون أنها ستُنتِج كتباً باللغة الألمانية؛ ينشر Penguin Random House الآن بالإنكليزية، والألمانية، والإسبانية.

وبائعي الكتب، وأمناء المكتبات، وكذلك القراء أصحاب العقول المستقلة، ضرورة التكافل بين القطاعات[24].

هناك تشوّش في صناعة النشر. متاجر الكتب الكبرى تريد أن تكون دور نشر؛ دور النشر الكبرى تريد أن تكون متاجر كتب. التحوّل لا يفيد المؤلفين ولا دور النشر والمتاجر المستقلين. لكن الفكرة تُباع عند سفح التلة التسويقي على أنها ميزة كبرى: ميزة الوصول إلى سوق عالمي؛ ميزة انعدام تكاليف الطباعة. لكن معظم هذه «المزايا» واهية. كيف يمكن للاعب صغير أن يصل إلى جمهور عالمي؟ كيف سيمكنهم تجنّب تكاليف التصميم، التحرير، والمراجعة والتنقيح، وإعداد النصوص، والتسويق والتوزيع؟ هل سيقبل القراء كتباً حُرّرت بشكل رديء؟ هل سيرتضون قراءة كتب لم تراعِ عنصر التصميم؟ هل سيكون التسويق والتوزيع على الإنترنت كافيين؟ هذه الميزة المُدّعاة إذاً سيتم استخدامها كطريقة لاستخلاص أولئك الأكثر نجاحاً بين الكتاب المستقلي النشر، أو الأكثر نجاحاً بين المستقلين عامةً من خلال شرائهم.

في عام 2011 استحوذت بينغوان Penguin على بوك وورلد. Bookworld من مجموعة ريد REDGroup Retail للتوزيع (التي كانت سابقاً جزءً من بوردرز وآنغس وروبيرستون Borders and Angus & Robertson). بوك وورلد هو متجر بيع الكتب على

24- إلى هنا كان الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين قد أقام ورشات عمل للناشرين، ومنها واحدة تناولت بشكل خاص احتياجات الناشرين باللغة العربية (الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين، 2014b). كما أجرى دراسة دولية في 2010-2011 في «النشر الرقمي في العالم النامي» (كوليسيز، 2011).

الإنترنت الأسرع نمواً في أستراليا، وهو الآن شركة تابعة لبينغوان أستراليا. توجد ترتيبات مماثلة بين دور نشر كبرى أخرى في عدد من أسواق اللغات الأخرى. على الجانب الآخر من هذا الطيف، تقوم المتاجر الكبرى مثل آمازون بإعداد أذرع للنشر على الإنترنت. بدأت عام 2009 بـ آمازون آنكوغ AmazaonEncore وهناك الآن ثلاث عشرة مطبوعة.

الناشر الذاتي على الإنترنت لكن بمُنتَج عالمي هي ظاهرة أخرى. تعتبر رواية «خمسون ظلاً للرمادي» التي كتبها ي. ل. جيمس مثالاً على هذه الظاهرة، وسلسلة الكتب الثلاثة تنشرها دار راندوم هاوس التي هي اليوم من بعد اندماجها مع بينغوان بوكس، أكبر دار نشر باللغة الإنكليزية في العالم. وهي أيضاً المالكة لـ جولد مان Goldmann، الناشر الألماني لرواية «خمسون ظلاً للرمادي». حين قامت دورية الناشرين الأسبوعية بتسمية ي. ل. جيمس «شخصية النشر لهذا العام» في 2012 كان هناك صرخة يائسة من بعض جهات النشر، في تساؤل واضح حول ما يمكن اعتباره «أدباً». من وجهة نظر نقدية لتنوّع النشر هذا اليأس له مبرراته. ي. ل. جيمس ببساطة استعمل معادلة رابحة في الوقت الصحيح: إعادة رواية حكاية خيالية مبنية على كراهية النساء، عن رجل سادي ومسيطر، وامرأة جميلة، فقيرة، ومازوشية (هاوثورن، 2012b).

المثال الآخر عن شركة صغيرة استحوذت عليها شركة كبيرة هي الشركة الأسترالية (سابقاً) بووكي.ش Booki.sh،

قامت بووكي بخلق منصة قراءة مقرها الإنترنت، وجرّبت البيع الرقمي لكتب لناشرين مستقلين عبر بائعي كتب مستقلين. كانت تجربة ناجحة بشكل لافت. هي الآن مملوكة من قبل أوڤر درايف OverDrive، شركة مقرها الولايات المتحدة الأميركية وتورّد الكتب لسوق المكتبات حول العالم. تمّ توكيل أوڤر درايف بتأمين وصول الناشرين والبائعين المستقلين إلى منصة بووكي. عملية البيع هذه كانت قراراً تجارياً ذكياً لمُلّاك الشركة، لكن نتائج ذلك على النشر والبيع المستقلين في أستراليا كانت هامة أيضاً. خسِرَ البائعون المستقلون منصة لبيع الكتب الإلكترونية، وخسر الناشرون المستقلون متجراً يُدار محلياً يبيعون كتبهم من خلاله[25].

اللغة التي تمّ استخدامها في عملية الاستحواذ هذه مثيرة. قال ستيڤ بوتاش المدير التنفيذي ورئيس أوڤر درايف:

> خلق فريق عمل «بووكي»، تجربة قراءة طازجة، ومباشرة وغامرة تخدم بشكل متميّز مهمة جامعاتنا ومدارسنا. التكنولوجيا المبتكرة تُيّسر الوصول إلى الكتب الإلكترونية والتعامل معها، وهو ما سيساعد في تشكيل استمتاع ملايين القراء والطلاب بالكتب الإلكترونية من شبكة أوڤر درايف المكوّنة من آلاف المكتبات والمدارس ومتاجر الكتب في حوالي 20 دولة حول العالم (المرجع مُثبت في كوزلوفسكي، 2014).

25- أعضاء شبكة الصحافة الصغرى، بالتعاون مع مجموعة من متاجر الكتب المستقلة، عملوا بنجاح مع Booki.sh من 2011-2012 (Booki, 2014).

ساعدت الاستقلالية «بووكي» على تحقيق نجاح عظيم، أُثني على إبداعهم وذكائهم. كلمات مثل «نَضِر»، «مباشر»، و«مبتكر»، نادراً ما يمكن تطبيقها على النشر الضخم. وبحسب تيموثي سوانسون (1996) عن تنوّع النشر، تعتمد الشركات على الـ«بري» في التنوّع البيئي، وبالطريقة نفسها يعتمد الناشرون الكبار على «نَضِر» في تنوّع النشر، لتحقيق تقدماتهم الجديدة. تأتي الأصالة من الهوامش، من المستقلين؛ الصغير يضمن بقاء الكبير. يبقى أن نرى ما إذا كانت «أوڤر درايف» ستكون على قدر طموحات وآمال «بووكي».

12

النشر العضوي

هدف نایاکریشي أندلون Nayakrishi Andolon
(الحركة الزراعية الجديدة) ليس إنتاج طعام أكثر
للزبائن، بل خلق حياة، وتنوّع، وأناندا ananda
(عيش حياة سعيدة).

فريدة أختر، *«مقاومة «التكنولوجيا» وحماية الإعاشة في بنغلادش»* (2001، ص392)

Farida Akhter, *'Resisting "Technology" and Defending Subsistence in Bangladesh'* (2001, p. 392)

علم بيئة النشر هو موضوع سيوسّع عقول الناشرين المستقلين في العقود المقبلة. وفيما سيتابع النشر العملاق تحقيق اندماجات أكثر وأكثر، تزايداً في عمليات الرقمنة، تحوّلات من بيع الكتب لنشرها وبالعكس، ونشراً شاسعاً متعدد اللغات ومتجانس،

سيبقى على عتبة الباب الناشرون الصغار: المستقلون وذاتيو النشر. الكتابة والنشر غالباً ما تكون مشاريع ناجحة حين تكون صغيرة. تماماً كما تعطي الزراعة العضوية أفضل نتائجها حين تقام على مساحات أرض صغيرة. البقاء صغيراً يسمح للمزارع بإنتاج شيء متميز، طعم أو لون لا يمكن إعادة إنتاجه صناعياً. في النقاش السائد، يمكن لنا أن نسمع الشركات الضخمة تتذرع بأن «العضوي» هو «فقط للأغنياء»، وأن الزراعة بمقاييس صناعية، تسمح بإنتاج غذاء يمكن للفقراء شراؤه. أظهرت فريدة أختر في بنغلادش، كيف يمكن لأناس بموارد محدودة أن يأكلوا طعاماً صحياً، طعاماً نما من دون مبيدات حشرية، ومن دون تدخل شركات مثل مونسانتو (أختر، 2001؛ روبن، 2010).

نفاجأ حقيقةً بالتشابهات المتعددة حين نفكر بالعلاقة بين البيئة والنشر. المثال الساطع الوضوح هو الورق. معظم ورق العالم يتم إنتاجه من غابات مزروعة، معظمها يتألف من كائنات حية غريبة، يتم اقتطاعه بحيث يُعظّم من أرباح شركات الحراجة. التدمير الأول هو للغابات الأصلية وزراعة غابات أشجار غريبة. احتطاب الأشجار يشبع الدمار بطريقة مشابهة للتفجير. هو التدمير للنظام البيئي للغابات ليس فقط لأنه يتم احتطاب الأشجار الكبيرة، بل لأنه يتم أيضاً تدمير الأشجار التي هي في طور النمو، والكائنات العضوية الدقيقة، والتربة.

كلما كانت دار النشر أكبر، كانت الطباعة أكثر، وبالتالي كان الورق المستخدم أكثر. يمكن لتكنولوجيا الطباعة الحديثة

أن تساعد في جعل الأمور أفضل من خلال طبعات لعدد قليل من النسخ، أي كتب من 100 - 700 نسخة. الطبعات الصغيرة تقلل من الاستخدام غير الضروري للورق. العديد من الطبعات الكبيرة تتكبد أرقام هدر كبيرة: كتب مهدورة، ورق مهدور، أشجار مهدورة.

في صناعة النشر يمكن لمتاجر الكتب إعادة مخزونها من الكتب غير المباعة للناشر. هذه ممارسة تساهم بشكل بالغ في الهدر، وفي بعض الأحيان هي نتيجة طلب مُبَالغ فيه على الكتب، خاصةً من قبل متاجر الكتب الكبرى وسلاسل المتاجر. الطلب المبالغ يقود لا للإسراف في استهلاك الورق فقط، بل أيضاً الاستخدام غير الضروري للنفط في نقل الكتب ذهاباً وإياباً في طرق مزدحمة أصلاً (أو بوسائل أخرى)، حين تُعاد الكتب، وتُعتبر فائضة، ومن بعد ذلك تُتلف.

المستقلون الصغار أقل تورطاً في طباعات مبالغ فيها، ومع أنه قد لا يكون لديهم أي تحكّم في المرتجعات، فاحتمال إقدامهم على وضع طلبيات متضخمة هو أقل حدوثاً، لكن مساهمتهم في الهدر أقل بشكل لافت.

مستمرة في توجهها نحو إنجاز الاندماجات، أعلنت راندوم هاوس في آذار/مارس 2014 شراء هاسانتيلانا Santillana التي تنشر باللغة الإسبانية. ومع أنه قد يكون هناك مساحة لعدد من الأفراد المتميزين في دار النشر الضخمة جداً، الثلاثية اللغات، إلا أن هناك احتمالاً أن الكتب ستبدأ كلها بالظهور بشكل واحد

(مؤلّف واحد بثلاث لغات). البندورة الموحدة في المتاجر الكبرى تشبه الكتب التي تبدو متشابهة والصادرة من دور نشر عملاقة. جميعها فقدت طعمها المحلي، اللغة غالباً «مأمركة»، والشخصيات تطفو في عالم بلا أماكن وتعاني فقط من مشاكل الأثرياء. أو أنهم يعيدون إنتاج الأنواع المتعددة للعنف، التي نرفض نحن من قاتلنا ضد العنصرية، وكراهية النساء، والاستعمار، وما شابه ذلك، تحقيق أرباح منها. الغلاف الجديد لطبعة 2013 لكتاب بيل جار The BellJar (من فيبر Faber) لمؤلفته سيلڤيا بلاث Sylvia Plath هو مثال جيد: غلاف عالمي يحوّل الشخصية الرئيسية إلى شخصية مهلهلة، لفتاة تقطن بالجوار وأميركية تماماً، بينما الرواية الأصلية: بيل جار، هي في الواقع، حول امرأة شابة تصارع الكآبة والقلق بسبب التوقعات الاجتماعية التي تثقل كاهلها في زمن لم يكن ودوداً مع النساء. هذا جزء من تشويه الأفكار الذي تضطلع به الرأسمالية. ومع أن أحداً لم يمس النص في حد ذاته، إلا أن تسويقه شوّه نوايا المؤلفة من هذا الكتاب. ولأن المؤلفة لم تعد موجودة لتحتج على تشويه «حقّها أدبياً/أخلاقياً»، فإن هذا الاستيلاء من خلال التسويق اللا أخلاقي سيستمر.

يستغرق النشر العضوي زمناً. هذا يعني معاملة كل كتاب، وكل كاتب لكتاب، ضمن سياق. هذا يعني أخذ نوايا المؤلف بعين الاعتبار، لا أن يُرمى غلاف على كتاب فقط لأنه آخر صيحات التصميم. يُتَوقَع من الكاتبات أن يتقبّلن أغلفة كتب من نوع «أدب النسوان» حتى حين لا يكون هذا هو التصنيف الذي يرتضينه

لأعمالهن. مصمّمو الأغلفة للكتب الشائعة يقومون بإنتاج أغلفة «صبي» لكتب الرجال، وأغلفة «بنت» لكتب النساء (فلوود، 2013). ومع أن البعض يجادلون بأنها طريقة مناسبة لإيجاد أسواق مناسبة لتلك الكتب، إلا أنه سينتج عن ذلك مباشرةً موقف استبعادي مستغرب عند التعامل مع «الكتب الأجنبية» ورعاية تسويقية أقل لكتب النساء.

أعتقد أن النشر العضوي يُنتِج كتباً أفضل. لو أن القراء فهموا أكثر قليلاً عن سياسات واقتصادات النشر، لربما قرروا المخاطرة بقراءة كتاب لمؤلف غير معروف أو من مكان غير مألوف. التغيير يتطلب كلاهما، النية والسير قدماً. بالنسبة للقارئ، الاستكشاف فقط على باب متجر الكتب هو بمثابة زيارة أوروبا، أو آسيا، أو إفريقيا لخمسة أيام. استكشاف الأفكار يستغرق وقتاً. لا يتوجب عليك مغادرة البيت، لكن يجب عليك البحث عن مفاهيم وإدراكات جديدة للعالم، وكذلك عن أشخاص غير معروفين لك من قبل. أو عليك البحث بشكل أعمق بين هؤلاء الذين تعرفهم أصلاً. العيش على السطح قد يكون فاتناً، لكن عند نقطة ما يصبح متعباً؛ الرضا فقدان، يصبح المرء ساخراً وغير مبالٍ.

صناعة النشر المستدامة هي تلك التي يكون فيها عمر الكتب على الرفوف أكثر من ثلاثة أشهر. السعي وراء أرباح أكثر باستمرار، وكتب سريعة الانتقال، مخازن كتب قادرة على التوزيع الواسع، مزايا دعم المؤلفين النجوم للسفر دولياً وإلى رحلات

المهرجانات العالمية، كلها لا تساهم في بيئة مستدامة لصناعة النشر. الصغير جميل وكذلك المُستَقِل.

13

مبادئ تنوّع النشر: نماذج وعمليات[26]

أنظمة الاستجابة BackFeed التي تُنظّم نفسها بنفسها، وغير الخطية، هي أنظمة ـ في بنيتها ـ غير قابلة للتنبؤ. لا يمكن التحكم بها. يمكن فهمها فقط بشكل شديد العمومية. الهدف من التنبؤ الدقيق بالمستقبل والإعداد له على وجه التمام أمر لا يمكن تحقيقه... لا يمكن التنبؤ بالمستقبل، لكن يمكن تصوّره وإحضاره بمودة للوجود.

دونيلا هـ. ميداوز، *التفكير بالنُّظُم* (2008، ص167-169)

Donella H. Meadows, *Thinking in Systems* (2008, pp. 167- 9)

26- تم تبنّي هذه القائمة من ستون، ميشيل ك. (ن. د) «مبادئ بيئية».
انظر ميداوز (2008) Meadows لقائمة أخرى حول مبادئ الأنظمة، خاصةً ص188-191.

الشبكات

كل المنتجات الثقافية في نظام بيئي اجتماعي ترتبط في ما بينها عبر شبكات من العلاقات. وكي تستمر الثقافات، يجب أن توجد الشبكات. مثلاً، الشّعر يمكن أن يمنح ظهوراً لأعمال أخرى، مثل التأليف الموسيقي، الرسم، الرقص، أو الأوبرا. تتلاقح الأعمال الفنية في ما بينها. المعارف التقليدية تُلقّح الأعمال الفنية المعاصرة، بينما تُعيد الأعمال المعاصرة تغذية المعارف الثقافية. الأفكار المستقلة والطازجة تُلقّح الشركات. وهذا يمكن أن يكون مفيداً إذا ما جرى التعامل باحترام.

أنظمة التعشيش

تتألف الثقافة من أنظمة بداخل أنظمة أخرى. ومع أن كل نظام هو مكتمل في حد ذاته، إلا أنه جزء من نظام أكبر. وحدوث تغيّرات في جزء من النظام يمكن له أن يؤثر على أنظمة أخرى بداخله. تقع دور النشر داخل أنظمة أكبر مثل الكتابة، ورواية القصص، والأدب، والتي تقع أيضاً ضمن إحدى الثقافات، ومرة أخرى ضمن النظام العالمي لرواية القصص (الذي يتضمن الشعر، الأفلام، الصحافة، العروض الفنية، وغير ذلك).

يقع النشر أيضاً ضمن نظام المؤسسات الربحية، التي تفرض اليوم تأثيراً أكبر من ذاك الذي تفرضه الثقافة، بمعنى آخر، لقد أصبح التاجر أهم من الثقافة، و«مجال أعمال الكتب» كما يسميه

آندريه شيفرن، أمسى أكثر اهتماماً بجانب الأرباح منه بجانب محتوى تلك الكتب (شيفرن 2001؛ تومبسون 2010).

الدوائر

يعتمد أعضاء نظام بيئي اجتماعي لثقافة ما على التبادل المستمر للطاقة من خلال الأفكار ورواية القصص. تتقاطع الدوائر ما بين الأنظمة المحلية، الإقليمية، والعالمية. والقصة حول علاقة ما توجد على مستويات محلية، وعالمية.

التدفقات

كل ثقافة ـ مهما كانت كبيرة أو صغيرة ـ تحتاج تدفقاً مستمراً للطاقة الفكرية للبقاء على قيد الحياة. تَدَفّق الطاقة من العالم الطبيعي إلى عالم الإنسان يؤدي إلى خلق واستمرار قوى نفسية وفكرية مبدئية تنتج عنها اللغة؛ على سبيل المثال، الناضجون (غالباً الأمهات) يغنين لأطفالهن، يروين لهم قصصاً ويغرقوهن في أحاديث بلا معنى. بهذه الطريقة، يتعلم الأطفال الكلام ورواية قصصهم.

التنمية

كل الثقافات ـ من قصص الأطفال للصناعات الثقافية العالمية ـ تتغيّر بمرور الوقت (أو المكان). تبنى القصص من

خلال المراكمة، والتنويع، والتأويل الجديد، وكذلك من خلال وسائل إعلامية جديدة لتمثيل الناس، على سبيل المثال: من الثقافات الشعبية إلى الأدب (ورق البُردي، سعف النخيل، النصوص المنسوخة بخط اليد)؛ من الكتاب إلى الكتاب الرقمي.

التوازن الديناميكي

أصبحت التجمعات البيئية الاجتماعية حلقات ديناميكية من الاستجابات، فرغم وجود تقلّب مستمر، إلا أن تجمعاً ذا طبيعة متنوّعة يحافظ على حالة مستقرة نوعاً ما. التوازن الديناميكي هو أساس المرونة الثقافية. على سبيل المثال، حين يتوقف الناشرون الكبار عن نشر الشعر، يُفتَتَح عدد من المتاجر المستقلة والنشر الذاتي إلى أن يتحفز الناشرون الكبار على التفكير في أنه لا بدّ أن يكون هذا مربحاً، عندئذ يعاودون، لبرهة من الزمن، نشر الشعر من جديد.

14

تنوّع النشر في القرن الحادي والعشرين

لا يمكن الحفاظ على التنوّع الحيوي ما لم يصبح التنوّع هو منطق الإنتاج.

ڤاندانا شيڤا، *العقل أحادي الثقافات* (1993، ص146)

Vandana Shiva, *Monocultures of the Mind* (1993, p. 146)

* «إذا كنت غير قادرة على الرقص، لا أريد أن أكون جزءاً من ثورتكم!» قالت أيما جولدمان في 1931 (ص207). سأضيف: «إن كان الشعر لن يُنشر بعد اليوم، فلا أريد أن أكون جزءاً من صناعةٍ من هذا النوع».

* الصنف البري ضرورة جوهرية لوجود التنوّع البيولوجي واستمراره. دعونا لا نستبعد أولئك الذين يتحدّون مناطق راحتنا.

* اللغات السائدة قادرة على السيطرة. ليس فقط من خلال إغراق اللغات المحلية، بل أيضاً عبر تهميش تنويعات خاصة داخل اللغة السائدة نفسها. دعونا جميعاً نتعلم على الأقل لغة واحدة أخرى.

* دعونا نتعهد الالتزام بعدالة التعبير ـ وليس فقط حرية التعبير وارتفاع صوته.

* دعونا نلتزم بضمان أن نِصفَي البشرية هما جزء من مجتمعاتنا المتنوّعة بيولوجياً. وهذا يعني أن على الرجال أن يتعلموا أن يقرؤوا ويستمعوا بطريقة مختلفة، وأيضاً أن يفكروا بطريقة مختلفة.

* دعونا لا نكتفي بعدّ الأرقام ـ لأنه كيف يمكن لكم أن تعدّوا أرقام النسخ المباعة لكتاب مثل ڤيرجينيا وولف وزورا نيل هورستون عام 1937؛ أو العناوين التي تُرجِمَتْ إلى الإنكليزية مثل ستيج لارسن ومحمود درويش في عام 2000؟ من سنعدّ؟ من هم الذين سيكونون مرئيين في وقت العدّ؟ هل سنتمنى لاحقاً لو أننا عددنا أولئك الذين كان يصعب إيجادهم؟ عملية العدّ تعادل قولنا إن من يمكن عدّهم فقط يستحقون أي شيء. هذا يناقض تنوّع النشر.

* دعونا نمنح اعتباراً لأماكن تنوّع النشر النشيطة بدلاً من تلك الانغماسات التسويقية من الأعلى للأسفل التي تدعى «مهرجانات».

* دعونا نتأكد من أننا نحافظ على تنوّع النشر ونضمن استمراره حين ندخل مناطق النشر الرقمي.

* دعونا لا نُستَعمر من جديد.

* دعونا نتأكد من بنائنا تُرَباً خصبة بحيث يتم الحفاظ على، واستمرار: الصيغ الثقافية، والقصص، والمحتوى الذي يمتاز بنزاهته الاجتماعية.

* دعونا نتحدى قوانين التجارة العالمية التي تمنح تفضيلاً للبنى التجارية.

* دعونا نلتزم بعدالة النتائج/المُخرجات.

* دعونا ندعم استقلالية التوجه عبر قطاع النشر كاملاً: المؤلفين، المترجمين، الناشرين، الموزعين، المراجعين، البائعين، أمناء المكتبات والوسائط الإعلامية.

تنوّع النشر، إن كان يراد له حقاً أن يستند إلى فكرة التنوّع الحيوي كما جرى تصوّره أول مرة من قبل الناشرين التشيليين، يجب أن ينجح في تحويل المبادئ البيئية إلى مبادئ اجتماعية بيئية[27]. هذه المبادئ كما أُشير إليها أعلاه، تتعلق بنُظُم حية

27- علّق آندريه شيفرين في مقابلة: « هناك محاولة لتوسعة فكرة التنوّع البيئي الخضراء لتصل إلى أفكار أخرى ـ يسمّونها «تنوّع النشر». على سبيل المثال، في تشيلي، جَمعَ حوالي أربعين من الناشرين المستقلين أنفسهم تحت تلك العلامة قبل نحو عشر سنين، ونجحوا في الحفاظ على التنوّع الضروري في النتاج التحريري المُتاح للقراء هناك» (بوليكن وتيستارد، 2010).

معقدة في حالة تدفق مستمر، تعكس شكل التحولات الطبيعية والثقافية دائمة التغيّر. انتهاكاتنا للطبيعة ينتُج عنها كوكب شديد الحرارة، وما زلنا ماضين بتهوّر نحو تغيّرات مناخية هائلة. انتهاكاتنا للثقافة ينتج عنها مستويات متزايدة في العنف، منعكسة بكتب تعتبر المكافئ الثقافي للتغيّرات المناخية: ترويج الكراهية وعداء النساء، عدائية الثقافة الأحادية ضد «الآخر»، والتلويح بالحرب.

ليس لدينا شك في أنّ النشر المستقل سيستمر، حتى في مواجهة النشر العملاق والتحوّل إلى شركات تجارية عالمياً. تماماً كالفطر الذي ينمو في دائرة حول جذور الأشجار المُسنّة ـ ظاهراً، ساقطاً، متوالداً، خالقاً كائنات حية دقيقة ضرورية للحفاظ على التربة ـ سيستمر الناشرون المستقلون الصغار، بدافع شغفهم بالأدب، في نشر كتب مُغامِرَة، مُبتَكِرَة، وتدوم. كتب من الآن إلى المستقبل.

شكر وتقدير

أودّ أن أشكر الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين، القائم في باريس وشبكته من الناشرين المستقلين في عدة قارات. شكر خاص لـ لورانس هوغو Laurence Hugues وخوان كارلوس سيز Juan Carlos Saez لتعليقاتهم الثاقبة والمدروسة على النص. وأيضاً لكل الأعضاء في دور النشر التي عُرِضَت آراؤهم في عدد من اللقاءات ومنحوني الطاقة لأكتب هذا البيان. وفي حين أنهم قد ساهموا في فكري، إلا أنهم ليسوا مسؤولين عن الشكل النهائي لهذا الكتاب.

أعبّر عن شكري لكل الناشرين المستقلين الذين عملتُ معهم عبر عدد من السنين. كانوا من دول متعددة: بنغلادش، تشيلي، الهند، ألمانيا، إفريقيا الجنوبية، الولايات المتحدة الأميركية، أوتياروا/نيوزيلندا، كندا، تركيا، المملكة المتحدة وغيرها. شكر خاص لكل الناشرات وبائعات الكتب من النسويات، في الماضي والحاضر، اللاتي ساعدنني على تعلّم مهنتي في السنوات الباكرة.

ما زالت إنجازاتهن مصدر إلهام لي. رينيت كلين Renate Klein، وأنا، مضينا في هذه الرحلة معاً منذ تأسيسنا سبينيفيكس للنشر عام 1991. ما كان لي أن أسافر كل هذا الطريق لولا حماستها، وشغفها وحبها. شكراً أيضاً لكل النساء اللاتي جعلن سبينيفيكس ما هي عليه. لرينيت، وبولين هوبكينز، وماري هاوكين، أقول لكن جميعاً شكراً على مهاراتكن التحريرية الرفيعة.

لقد فكرتُ بمواضع هذا البيان لعقود عدة، وأكثر ما أعرفه اليوم عن قوانين التجارة العالمية تعلّمته خلال دراسة الدكتوراه. الفهم الواقعي يأتي من خلال العمل في التجارة، والتعبير عن تجربتنا المشتركة كناشرات نسويات ومستقلات. وبينما أنتهي من البيان يخطر لي أنها ما هي إلا البداية. كل فصل في هذا الكتاب يمكن توسعته. نحتاج إلى مزيد من البحث حول بائعي الكتب المستقلين، المترجمين، أمناء المكاتب، المُعلّقين على الكتب في الوسائل الإعلامية، وكل الذين يقومون بتوليد الأفكار والصور، الذين من دونهم ما كان ليكون لدينا صناعة نشر.

كنت سابقاً قد عبّرت عن بعض هذه الأفكار في سياقات ومنشورات مختلفة من بينها ما يلحق هنا:

2002. Wild Politics: Feminism, Globalisation and Bio/diversity. Melbourne: Spinifex Press.

2011. 'Indicators of Bibliodiversity: A multiversalist's matrix'. Bibliodiversity 1. January. pp. 86–95. <http://www.bibliodiversity.org/Bibliodiversity%20Indicators.pdf>.

2011. 'Publishing Change see Digital see Bibliodiversity'.

Invited Keynote Speaker. Australia New Zealand Society of Indexers Annual Conference, Melbourne. 12 September.

2012. 'Bibliodiversity: The power of the local in the global'. SPUNC Conference. Wheeler Centre, Melbourne. 8 November.

2013. 'Independent publishers around the world: Scenario, perspectives, bibliodiversity'. International Alliance of Independent Publishers Roundtable with publishers from Brazil, South Africa and Switzerland. Frankfurt Book Fair. 9 October.

2014. 'Fair Trade and Fair Speech: Feminist publishing in the 21st century'. Wheeler Centre for Books, Writing, Ideas. Melbourne. 19 March.

المؤلفة

عمِلَت سوزان هاوثورن في صناعة الكتاب لأكثر من ثلاثين عاماً، كاتبةً، منظمة مهرجانات، مُراجِعَة كتب، محرِّرة، ناشرة، وناصحة. أسّست في عام 1991 مع رينيت كلين، سبينيفيكس للنشر، بعد أن عملت محرِّرة في بينغوان أستراليا لأربع سنين. كتبت باستفاضة عن صناعة النشر، تعاونت في تنظيم تدريب رقمي للناشرين الصغار والكبار، دَرَّسَت دراسات النشر والكتابة الإبداعية، وكانت عضواً نشيطاً في هيئات مرموقة للنشر والكتاب. هي عضو في مَجمَع المؤلفين الأستراليين، PEN في ملبورن، شعر أستراليا، شبكة الناشرين الصغار، وفي مجلس الناشرين المستقلين في اتحاد الناشرين الأستراليين. تشغل منذ عام 2011 منصب منسّق اللغة الإنكليزية في الاتحاد الدولي للناشرين المستقلين المتخذ من باريس مقراً له. هي بروفيسور مساعد في برنامج الكتابة في جامعة جيمس كوك، وناشرة في سبينيفكس للنشر.

كتب أخرى لسوزان هاوثورن:

غير روائية:

Wild Politics: Feminism, Globalisation and Bio/diversity (2002)

The Spinifex Quiz Book (1993)

شعرية:

Lupa and Lamb (2014)

Valence: Considering War through Poetry and Theory (2011, chapbook)

Cow (2011)

Earth's Breath (2009)

Unsettling the Land (with Suzanne Bellamy, 2008, chapbook)

The Butterfly Effect (2005)

Bird and Other Writings on Epilepsy (1999)

The Language in My Tongue (1993)

روائية:

Limen (2013, verse novel)

The Falling Woman (1992 / 2004)

مختارات ـ أنطولوجيا:

Horse Dreams: The Meaning of Horses in Women's Lives (with Jan Fook and Renate Klein, 2004)

Cat Tales:The Meaning of Cats in Women's Lives (with Jan Fook and Renate Klein, 2003)

September 11, 2001: Feminist Perspectives (with Bronwyn Winter, 2002)

Cyberfeminism: Connectivity, Critique and Creativity (with Renate Klein, 1999)

Car Maintenance, Explosives and Love and Other Lesbian Writings (with Cathie Dunsford and Susan Sayer, 1997)

Australia for Women: Travel and Culture (with Renate Klein, 1994)

Angels of Power and Other Reproductive Creations (with Renate Klein, 1991)

The Exploding Frangipani: Lesbian Writing from Australia and New Zealand (with Cathie Dunsford, 1990)

Moments of Desire: Sex and Sensuality by Australian Feminist Writers (with Jenny Pausacker, 1989)

Difference: Writings by Women (1985)

Bibliography

Akhter, Farida. 2001. 'Resisting "Technology" and Defending Subsistence in Bangladesh: Nayakrishi Andolon and the movement for a happy life'. In Bennholdt-Thomsen, Nicholas Faraclas and Claudia von Werlhof (eds). There Is an Alternative: Subsistence and Worldwide Resistance to Corporate Globalization. London: Zed Books; Melbourne: Spinifex Press. Also see UBINIG website: <http://www.ubinig.org/>.

Alexander, M. Jacqui. 2005. Pedagogies of Crossing: Meditations on Feminism, Sexual Politics, Memory and the Sacred. Durham and London: Duke University Press.

Anzaldúa, Gloria. 1987. Borderlands/La Frontera: The New Mestiza. San Francisco: Spinsters/Aunt Lute.

Asante, Molefe Kete. 1999. The Painful Demise of Eurocentrism: An Afrocentric Response. Trenton, NJ and Asmara, Ethiopia: Africa World Press.

Atkinson, Judy. 2002. Trauma Trails, Recreating Song Lines: The Transgenerational Effects of Trauma in Indigenous Australia. Melbourne: Spinifex Press.

Atkinson, Ti-Grace. 1974. Amazon Odyssey. New York: Links Books.

Barry, Kathleen. 2010. Unmaking War Remaking Men. Santa Rosa, CA: Phoenix Rising Press; Melbourne: Spinifex Press.

Bell, Diane. 1983 / 2002. Daughters of the Dreaming. Melbourne: Spinifex Press.

Bell, Diane. 1998 / 2014. Ngarrindjeri Wurruwarrin: A World That Is, Was, and Will Be. Melbourne: Spinifex Press.

Bell, Diane and Renate Klein (eds). 1996. Radically Speaking: Feminism Reclaimed. Melbourne: Spinifex Press.

Bell, Genevieve. 2001. 'A Theory of Shopping: A feminist reading of eCommerce'. Paper presented at George Washington University, Washington DC. 7 June.

Benhamou, Françoise. 2009. 'Les Assises et leurs suites. Comptes rendus des Assises internationales de l'édition indépendante et programme prévisionnel d'action 2008–2009 de l'Alliance des éditeurs indépendants'. International Alliance of Independent Publishers. 7 October. pp. 28–29.

Booki.sh. 2014. More about Booki.sh. <http://about.booki.sh/support/press>.

Bray, Abigail. 2013. Misogyny Re-Loaded. Melbourne: Spinifex Press.

Brodribb, Somer. 1992. Nothing Mat(t)ers: A Feminist Critique of Postmodernism. Melbourne: Spinifex Press.

Cacho, Lydia. 2012. Slavery Inc.: The Untold Story of International Sex Trafficking. Translated by Elizabeth Boburg. London: Portobello Books.

Carson, Rachel. 1962. Silent Spring. Harmondsworth, UK: Penguin Books.

Catton, Eleanor. 2013a. The Luminaries. London: Granta.

Catton, Eleanor. 2013b. 'Eleanor Catton on literature and elitism'. Metro. March. <http://metromag.co.nz/metro-archive/eleanor-catton-on-literature-and-elitism/>.

Colleu, Gilles. 2006. Éditeurs indépendants: de l'âge de raison vers l'offensive. Paris: Alliance des éditeurs indépendants.

ComLaw. 2000. Copyright Amendment (Moral Rights)

Act 2000 – C2004A00752. Office of Parliamentary Counsel, Commonwealth of Australia. 21 December 2000. <http://www.comlaw.gov.au/Details/C2004A00752>.

ComLaw. 2013. Racial Discrimination Act 1975 – Section 18C – C2013C00013. Office of Parliamentary Counsel, Commonwealth of Australia. 7 January 2013. <http://www.comlaw.gov.au/Details/C2013C00013>.

Crouch, Martha L. 2001. 'From Golden Rice to Terminator Technology: Agricultural biotechnology will not feed the world or save the environment'. In Tokar, Brian (ed.). Redesigning Life: The Worldwide Challenge to Genetic Engineering. Melbourne: Scribe Publications; London: Zed Books; Montreal: McGill Queens University Press; Johannesburg: Witwatersrand University Press. pp. 22–39.

Daly, Mary. 1978. Gyn/Ecology: The Meta-ethics of Radical Feminism. Boston: Beacon Press.

Dines, Gail. 2010. Pornland: How Porn Has Hijacked Our Sexuality. Melbourne: Spinifex Press.

Ekis Ekman, Kajsa. 2013. Being and Being Bought: Prostitution, Surrogacy and the Split Self. Melbourne: Spinifex Press.

Fanon, Frantz. 1973. The Wretched of the Earth. Translated by Constance Farrington. Harmondsworth: Penguin Books.

Fergus, Lara. 2005. 'Elsewhere in Every Country: Locating lesbian writing'. Paper presented at 9th International Interdisciplinary Congress on Women, Seoul, Korea. 21 June.

Fergus, Lara. 2010. My Sister Chaos. Melbourne: Spinifex Press.

Firestone, Shulamith. 1971. The Dialectic of Sex: The Case for Feminist Revolution. London: Paladin.

Flood, Alison. 2013. 'Coverflip: Author Maureen Johnson turns

tables on gendered book covers. Novelist challenges readers to flip genders of famous book covers and expose publishers' sexist attitudes to women's fiction'. The Guardian. 10 May. <http://www.theguardian.com/books/2013/may/09/coverflip-maureen-johnson-gender-book>.

Frye, Marilyn. 1983. 'Oppression'. In The Politics of Reality: Essays in Feminist Theory. Trumansburg, NY: The Crossing Press.

Galeano, Eduardo. 1973. Open Veins of Latin America: Five Centuries of the Pillage of a Continent. New York: Monthly Review Press.

Goldman, Emma. 1931. Living My Life. New York: Alfred A. Knopf.

Gowdy, John and Carl N. McDaniel. 1995. 'One World, One Experiment: Addressing the biodiversity-economics conflict'. Ecological Economics 15 (3). pp. 181–192.

Graham, Dee L. R. with Edna I. Rawlings and Roberta K. Rigsby. 1994. Loving to Survive: Sexual Terror, Men's Violence and Women's Lives. New York: New York University Press.

Greer, Germaine. 1971. The Female Eunuch. London: Paladin.

Griffin, Susan. 1982. Pornography and Silence: Culture's Revenge Against Nature. San Francisco: HarperCollins.

Guillaumin, Colette. 1995. Racism, Sexism, Power and Ideology. London: Routledge.

Harrison, Dan and Jonathan Swan. 2014. 'Attorney-General George Brandis: "People do have a right to be bigots."' Sydney Morning Herald. 24 March. <http://www.smh.com.au/federal-politics/political-news/attorneygeneral-george-brandis-people-do-have-a-right-to-be-bigots-2014032435-dj3.html#ixzz34sUITHhp>.

Hawthorne, Susan. 1989. 'The Politics of the Exotic: The paradox of cultural voyeurism'. Meanjin 48 (2). pp. 259–268.

Hawthorne, Susan. 1996. 'From Theories of Indifference to a Wild Politics'. In Bell, Diane and Renate Klein (eds). Radically Speaking: Feminism Reclaimed. Melbourne: Spinifex Press.

Hawthorne, Susan. 2002. Wild Politics: Feminism, Globalisation and Bio/diversity. Melbourne: Spinifex Press.

Hawthorne, Susan. 2003a. 'The Australia–United States Free Trade Agreement'. Arena Magazine 63. February–March. pp. 29–32.

Hawthorne, Susan. 2003b. 'Corporate Biotechnology: Gene patents, market dynamics versus public good, biomedical marketing strategies'. Paper presented at Within and Beyond the Limits of Human Nature: Working Conference on the Challenges of the New Human Genetic Technologies. 12–15 October. Berlin.

Hawthorne, Susan. 2004. 'The Political Uses of Obscurantism: Gender mainstreaming and intersectionality'. Development Bulletin 89. pp. 87–91.

Hawthorne, Susan. 2005. 'GATS and Women: To what extent will women lose as the General Agreement on Trade in Services becomes embedded in the global economy?'. 9th International Interdisciplinary Congress on Women. Seoul, Korea. <https://jamescook.academia.edu/SusanHawthorne>.

Hawthorne, Susan. 2012a. 'To Whinge or Not to Whinge: Marginalising feminist writing in Australia'. Rochford Street Review. 22 May. <http://rochfordstreetreview.com/201222/05//to-whinge-or-not-to-whinge-marginalising-feminist-writing-in-australia/>.

Hawthorne, Susan. 2012b. 'Shades of Grey: What now that BDSM has gone mainstream?'. Australian Women's and Gender Studies Conference. 21 November. UNSW. <https://jamescook.academia.edu/SusanHawthorne>.

Hawthorne, Susan. 2013. Cow. Melbourne: Spinifex Press.

Hayden, Casey and Mary King. 1965. 'Feminism and the Civil Rights Movement'. <http://www.wwnorton.com/college/history/archive/resources/documents/ch34_02.htm>.

Herman, Judith L. 1992. 'Complex PTSD: A syndrome in survivors of prolonged and repeated trauma'. Journal of Traumatic Stress 5 (3). pp. 377–391.

Hynes, H. Patricia. 1999. 'Consumption: North American perspectives'. In Silliman, Jael and Ynestra Kind (eds). Dangerous Intersections: Feminist Perspectives on Population, Environment and Development. Cambridge, MA: South End Press.

International Alliance of Independent Publishers. 2007. International Declaration of Independent Publishers for the Protection and Promotion of Bibliodiversity. Paris: International Alliance of Independent Publishers.

International Alliance of Independent Publishers. 2013a. 'Book Donations: Rethinking the system'. International Assembly of Independent Publishers Workshop: Strengthening and keeping bibliodiversity alive. 20–21 March. BULAC, Paris. <http://www.alliance-editeurs.org/IMG/pdf/first_conclusions_book_donations_workshop_assembly_2013_and_2014.pdf>. Accessed 24 May 2014.

International Alliance of Independent Publishers. 2013b. 'Local and National Languages: What opportunities for publishing in Africa?'. International Assembly of Independent Publishers Workshop: Strengthening and keeping bibliodiversity alive. 11–13 June. Ouagadougou, Burkina Faso.

International Alliance of Independent Publishers. 2014a. 'Bibliodiversity'. <http://www.alliance-editeurs.org/bibliodiversity>.

International Alliance of Independent Publishers. 2014b. 'Digital Publishing: What issues for bibliodiversity in the Arabic-

speaking world?'. 12 May. <http://www.alliance-editeurs.org/IMG/pdf/press_release_digital_publishing_arab_world_2_.pdf>.

Jeffreys, Sheila. 1997. The Idea of Prostitution. Melbourne: Spinifex Press.

Jeffs, Sandy. 2000. Poems from the Madhouse. Melbourne: Spinifex Press.

Jensen, Robert. 2005. The Heart of Whiteness: Confronting Race, Racism and White Privilege. San Francisco: City Lights.

Jensen, Robert. 2007. Getting Off: Pornography and the End of Masculinity. Cambridge, MA: South End Press.

Klein, Naomi. 2007. The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism. Camberwell, Vic: Penguin Australia.

Kohn, Bob. 2014. 'How Book Publishers Can Beat Amazon'. The New York Times. 30 May. <http://www.nytimes.com/201431/05//opinion/how-book-publishers-can-beat-amazon.html?emc=eta1&_r=0>.

Kozlowski, Michael. 2014. 'OverDrive Acquires Cloud Based Company Booki.sh'. Good e-Reader. 5 March. <http://goodereader.com/blog/e-book-news/overdrive-acquires-cloud-based-company-booki-sh>.

Kulesz, Octavio. 2011. 'Digital Publishing in the Developing World'. Paris: International Alliance of Independent Publishers. <http://alliance-lab.org/etude/?lang=en>.

Lim, Kwanhui. 2011. 'What Really Went Wrong for Borders and Angus & Robertson?' The Conversation. 24 March. <http://theconversation.com/what-really-went-wrong-for-borders-and-angus-and-robertson-341>.

Mairs, Nancy. 1992. 'On Being a Cripple'. Plaintext. Tucson: University of Arizona Press. pp. 9–21.

McLellan, Betty. 2010. Unspeakable: A Feminist Ethic of Speech. Townsville: OtherWise Publications.

Meadows, Donella H. 2008. Thinking in Systems. White River Junction, VT: Chelsea Green Publishing.

Menon, Ritu. 1990. 'Coedición Simultánea de Libros Feministas'. Debats, Debates, Dibattiti, Panel Discussions, Besprechungen. Barcelona: IV Fira Internacional del Llibre Feminista.

Mies, Maria. 19861999/. Patriarchy and Accumulation on a World Scale: Women in the International Division of Labour. London: Zed Books; Melbourne: Spinifex Press.

Mies, Maria, Veronika Bennholdt-Thomsen and Claudia von Werlhof. 1988. Women: The Last Colony. New Delhi: Kali for Women.

Mies, Maria and Veronika Bennholdt-Thomsen. 1999. The Subsistence Perspective: Beyond the Globalised Economy. London: Zed Books; Melbourne: Spinifex Press.

Morrison, Toni. 1993. Playing in the Dark: Whiteness and Literary Imagination. New York: Random House.

Namjoshi, Suniti. 1996. Building Babel. Melbourne: Spinifex Press.

Ndumbe, Prince Kum'a III. 2007. 'Stopping Intellectual Genocide in African Universities'. Pambazuka News 312. <http://www.pambazuka.org/>.

Nicholls, Christine. 2014. '"Dreamtime" and "The Dreaming": An introduction'. The Conversation. 29 January. <http://theconversation.com/dreamtime-and-the-dreaming-an-introduction-20833>.

Plath, Sylvia. 2013. The Bell Jar. London: Faber and Faber.

Pouliquen, Gwenael and Jacques Testard. 2010. 'Interview with André Schiffrin'. The White Review. October. <http://www.thewhitereview.org/interviews/interview-with-andre-schiffrin/>.

Raymond, Janice G. 1994 Women as Wombs: Reproductive

Technology and the Battle over Women's Freedom. Melbourne: Spinifex Press.

Raymond, Janice G. 2013. Not a Choice, Not a Job: Exposing the Myths about Prostitution and the Global Sex Trade. Melbourne: Spinifex Press.

Robin, Marie-Monique. 2010. The World According to Monsanto: Pollution, Politics and Power. Melbourne: Spinifex Press; New Delhi: Tulika Books; New York: The New Press.

Roy, Arundhati. 1999. The Cost of Living. London: Flamingo.

Roy, Arundhati. 2003. War Talk. Cambridge, MA: South End Press.

Said, Edward W. 1995. Orientalism: Western Conceptions of the Orient. London: Penguin Books.

Schiffrin, André. 2001. The Business of Books: How International Conglomerates Took over Publishing and Changed the Way We Read. London: Verso.

Schmitz, Sonja. 2001. 'Cloning Profits: The revolution in agricultural technology'. In Tokar, Brian (ed.). Redesigning Life: The Worldwide Challenge to Genetic Engineering. Melbourne: Scribe Publications; London: Zed Books; Montreal: McGill Queens University Press; Johannesburg: Witwatersrand University Press. pp. 44–50.

Seager, Joni. 1997. The State of Women in the World. Harmondsworth: Penguin Books.

Shapiro, Gisèle. 2014. 'Translation as a Weapon in the Struggle Against Cultural Hegemony in the Era of Globalization'. Bibliodiversity: Translation and Globalization 3. February. pp. 33–42.

Shiva, Vandana. 1991. The Violence of the Green Revolution: Third World Agriculture, Ecology and Politics. Penang: Third World Network.

Shiva, Vandana. 1993. Monocultures of the Mind: Perspectives on Biodiversity and Biotechnology. Penang: Third World Network.

Shiva, Vandana. 1994. Close to Home: Women Reconnect Ecology, Health and Development. New Delhi: Kali for Women.

Shiva, Vandana. 2012. Making Peace with the Earth: Beyond Resource, Land and Food Wars. New Delhi: Women Unlimited; Melbourne: Spinifex Press.

Solanas, Valerie. 1967. SCUM Manifesto. New York: Olympia Press.

Soto, Mikel. 2013. 'Txalapata, Basque Country: Distribution and Promotion of Human and Social Sciences Books: What innovative strategies to succeed?'. International Alliance of Independent Publishers Workshop. 13 October. Frankfurt.

Stark, Christine and Rebecca Whisnant (eds). 2004. Not For Sale: Feminists Resisting Prostitution and Pornography. Melbourne: Spinifex Press.

Stoltenberg, John. 1990. Refusing to Be a Man. London: Fontana Collins.

Stone, Michael K. n.d. 'Ecological Principles'. Center for Ecoliteracy. <http://www.ecoliteracy.org/nature-our-teacher/ecological-principles>.

Sullivan, Mary. 2007. Making Sex Work: A Failed Experiment with Legalised Prostitution. Melbourne: Spinifex Press.

Swanson, Timothy. 1996. 'The Reliance of Northern Economies on Southern Biodiversity: Biodiversity as information'. Ecological Economics 17 (1). pp. 1–8.

Tankard Reist, Melinda and Abigail Bray (eds). 2011. Big Porn Inc.: Exposing the Harms of the Global Pornography Industry. Melbourne: Spinifex Press.

Thompson, John B. 2010. Merchants of Culture: The Publishing Business in the 21 Century. Cambridge, UK: Polity.

Tuhiwai Smith, Linda. 1999. Decolonising Methodologies: Research and Indigenous Peoples. Otago: Otago University Press; London: Zed Books.

Wangoola, Paul. 2000. 'Mpambo, the African Multiversity: A philosophy to rekindle the African spirit'. In Dei, George J. Sefa, Budd L. Hall and Dorothy Goldin Rosenberg (eds). Indigenous Knowledges in Global Contexts: Multiple Readings of Our World. Toronto: OISE/UT, published in association with University of Toronto Press. pp. 265–277.

Watson, Don. 2003. Death Sentence: The Decay of Public Language. Sydney: Knopf.

Watson, Don. 2005. Dictionary of Weasel Words, Contemporary Clichés, Cant and Management Jargon. Sydney: Random House Australia.

Williams, Patricia J. 1991. The Alchemy of Race and Rights: Diary of a Law Professor. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Wills, Meredith Sue. 2001. 'The Business of Books by André Schiffrin' [Review]. American Ethical Union Library. <http://www.meredithsuewillis.com/Business%20of%20Books.html>. Accessed 22 April, 2014.

Wittig, Monique. 1976. 'The Category of Sex'. In Wittig, Monique. 1992. The Straight Mind and Other Essays. Boston: Beacon Press. pp. 1–8.

Wittig, Monique. 1985. 'The Mark of Gender'. In Wittig, Monique. 1992. The Straight Mind and Other Essays. Boston: Beacon Press.

Wittig, Monique. 1992. The Straight Mind and Other Essays. Boston: Beacon Press.

Woolf, Virginia. 19531975/. A Writer's Diary. Edited by Leonard Woolf. London: The Hogarth Press.

Bibliodiversity

A Manifesto for Independent Publishing

Susan Hawthorne

First Published by Sphinex
© Original text in English, Susan Hawthorne, 2014
© Translation, Bilal Zaiter, 2015

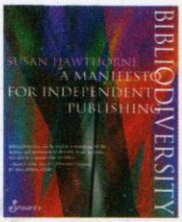

في التنوع الحيوي البيئي يشير التنوع بكل بساطة لعدد الكائنات الحية، في المقابل، يشير التنوع في عالم الكتب إلى عدد العناوين. العامل الثاني الذي تتم الإشارة إليه في ضوء مفهوم التنوع الحيوي هو التوازن، التوازن بين الكائنات الحية. وإذا ما نظرنا لنفهم ما الذي يعنيه ذلك في التنوع البيئي فإننا نرى الفكرة الواضحة تماماً بأنه إن كان لدينا عدد من الكائنات الحية، لكن بعضها تتواجد بأعداد ضخمة بينما تعتبر الأخرى نادرة، فإن تلك التي تتمتع بأعداد كبيرة غالباً ما ستلتهم الأخرى أو تسود عليها. هذا ما يحدث في عالم الكتب إذ تدفع الكتب التي تحقق رواجاً ساحقاً المعروضات الأخرى صعبة الترويج من على الرفوف في محلات البيع الكبرى ومن واجهات عرض متاجر الكتب.

«فرانسواز بينهامو»

دار محمد علي للنشر
الانتشار العربي
Elan Publishing House
الفارابي
أطلس
ISBN 978-614-432-524-7
9 786144 325247
الرابطة الدولية للناشرين المستقلين
FAIR TRADE BOOK